

# زهرة البرسيم

كامل كيلاني



زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ



# زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

تأليف  
كامل كيلاني



رقم إيداع ٢٠١٢ / ١٩٢١٠

تدمك: ٦ ٠٩١ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

**مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**

جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة

المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره

وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه

٥٤ عمارات الفتاح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة

جمهورية مصر العربية

تليفون: ٢٠٢ ٢٢٧٠٦٣٥٢ + فاكس: ٢٠٢ ٣٥٣٦٥٨٥٣ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

جميع الحقوق الخاصة بصورة وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. جميع الحقوق الأخرى ذات الصلة بهذا العمل خاضعة للملكية العامة.

Cover Artwork and Design Copyright © 2011 Hindawi

Foundation for Education and Culture.

All other rights related to this work are in the public domain.

## المحتويات

٧

١٣

٢٣

٣٥

٤٣

٥٣

٦١

فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

الفصل الثاني

الْفَصْلُ الثَّلَاثُ

الفصل الرابع

أعلام الحيوان

أُسْرَةُ الْحَيَوَانَ



## فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ

### (١) نَمُودَجُ الْحُسْنِ

كَانَتْ أُبْرَعٌ بَنَاتٍ جَنَسِهَا جَمَالًا، وَأَبْدَعُهُنَّ قَوَامًا (أَحْسَنَهُنَّ قَامَةً وَتَكْوِينًا وَاعْتِدَالَ جِسْمٍ)،  
وَأَطْرَفَهُنَّ مَنْظَرًا. كَانَتْ — لَوْ سَامَتْهَا، وَتَأَلَّقَ عَيْنَيْهَا، وَدَقَّةَ أَنْفِهَا الصَّغِيرِ الْوَرْدِيِّ، وَرَشَاقَةَ  
أَقْدَامِهَا الْمُبْطِنَةِ بِالشَّعْرِ — مِثَالًا لِلْحُسْنِ وَنَمُودَجًا لِلْمَلَاخَةِ.





## زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

لَوْ رَأَيْتَهَا — وَهِيَ تَخْتَالُ وَتَتَبَخَّرُ فِي جِلْبَابِهَا الْأَبْيَضِ الْأَبْيَقِ — لَمَا تَمَالَكْتَ مِنْ فَرْطِ  
الإِعْجَابِ بِهَا، وَالإِفْتِتَانِ بِمَنْظَرِهَا الرَّائِعِ الْأَخَاذِ.  
كَانَ أَشْهَى غَدَائِهَا: الْبُرْسِيمُ.  
كَانَتْ تُؤَثِّرُ هَذَا الطَّعَامَ (تُفَضِّلُهُ) عَلَى الْوَانَ الْأَطْعَمَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأُخْرَى.  
لَا تَعْجَبُ إِذَا أَطْلَقَ عَلَيْهَا صَوَاحِبُهَا وَرَفِيقَاتُهَا لَقَبَ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ».  
كَانَتْ — بَيْنَ الْأَرَانِبِ — فِي مِثْلِ جَمَالِ الزَّهْرَةِ الَّتِي يَزْدَانُ بِهَا نَبَاتُ الْبُرْسِيمِ، وَهُوَ —  
كَمَا حَدَّثْتِكِ — أَشْهَى طَّعَامٍ تُحِبُّهُ الْأَرَانِبُ.

## (٢) الْأُسْرَةُ السَّعِيدَةُ

كَانَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» — تِلْكَ الْأَرْزَبَةُ الصَّغِيرَةُ الطَّرِيفَةُ الشَّقْرَاءُ — تَعِيشُ مَعَ أَبَوَيْهَا،  
وَأُخْتَيْهَا، وَإِخْوَتِهَا الثَّلَاثَةِ، فِي جُحْرٍ عَمِيقٍ، حَفَرَهُ أَبُوهَا «الْخَزْرُ» فِي سَفْحٍ؛ أَعْنِي: مَكَانًا  
مُنْحَفِضًا — اخْتَارَهُ لِسُكْنَاهُ — يَكْتَنِفُهُ سِيَاحٌ (يُحِيطُ بِهِ سُورٌ) مِنَ الْأَعْشَابِ، بِالْقُرْبِ مِنْ  
بَعْضِ التَّلَالِ الْمُشْمِسَةِ الرَّمْلِيَّةِ.  
كَانَ «الْخَزْرُ» خَيْرَ مِثَالٍ لِرَبِّ الْأُسْرَةِ الْبَارِّ الشَّفِيقِ.  
كَانَتْ زَوْجَتُهُ «عَكْرِشَةُ» تُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا، لِإِخْلَاصِهِ وَدِمَائَتِهِ خُلُقِهِ (سُهُولَتِهِ وَلِينِ طَبِيعِهِ).  
كَانَ «الْخَزْرُ» — فِي الْحَقِيقَةِ — جَدِيرًا بِكُلِّ إِعْجَابٍ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدَّخِرْ وَسْعًا فِي إِسْعَادِ  
أُسْرَتِهِ: كَانَ يَقْضِي وَقْتَهُ كُلَّهُ مَعَ أَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ، فَلَا يَفَارِقُهُمْ إِلَّا لِضُرُورَةٍ قَاهِرَةٍ. لَا عَجَبَ  
إِذَا نِعِمَّتْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ بِسَعَادَةٍ نَادِرَةٍ قَلَّمَا يَطْفُرُ بِهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ.

## (٣) مَرَضٌ «عَكْرِشَةُ»

لَمْ يَكُنْ يَنْعُصُ عَلَيْهِمْ سَعَادَتَهُمْ، وَيُكَدِّرُ صَفْوَهُمْ، إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ، هُوَ مَرَضٌ «عَكْرِشَةُ»: أُمَّ  
الْأَرَانِبِ وَزَوْجَتِهِ «الْخَزْرِ».

كَانَتْ تَشْكُو السَّقَامَ وَلَا تَسْتَطِيعُ النَّهْوَصَ.  
اضْطُرَّ زَوْجُهَا النَّبِيلُ إِلَى تَعَهُدِ أَبْنَائِهِ، وَالسَّهْرِ عَلَى رَاحَتِهِمْ.

(٤) نَشْأَةُ «الْحَرْزِ»

كَانَ «الْحَرْزُ» قَدْ جَابَ الْبِلَادَ وَطَافَ بِهَا — فِي أَوَّلِ شَبَابِهِ — وَعَاشَرَ النَّاسَ، وَكُتْسَبَ أَكْرَمَ مِيزَاتِهِمْ، وَجَمَعَ — إِلَى إِخْلَاصِهِ وَوَفَائِهِ — تَجْرِبَةً نَادِرَةً، وَثِقَافَةً وَاسِعَةً. عَرَفَ كَيْفَ يُنْشِئُ بَيْنَهُ أَحْسَنَ تَنْشِئَةٍ، وَيُبَصِّرُهُمْ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي الْحَيَاةِ مِنْ فُنُونِ الْمَعْرِفَةِ وَأَنْوَاعِهَا. نَشَأَ «الْحَرْزُ» — مِنْذُ حَدَاثَتِهِ — فِي بَيْتِ زَارِعٍ يَعِيشُ فِي إِحْدَى الْقُرَى النَّائِبَةِ الْبَعِيدَةِ.

كَانَتْ حَفِيدَةُ الزَّارِعِ تُحِبُّهُ أَشَدَّ الْحُبِّ: لَا تَكَادُ تُفَارِقُهُ لِشِدَّةِ الْأُلْفَةِ وَالْحُبِّ وَالْإِنْسَانِ بَيْنَهُمَا.

هَرَبَ «الْحَرْزُ» مِنْ بَيْتِ الزَّارِعِ، حِينَ رَأَى رَبَّةَ الْبَيْتِ تَذْبَحُ أَحَدَ رِفَاقِهِ (أَصْحَابِهِ)، لِتَهْيِئِ لِرُوحِهَا عَدَاءَهُ. لَمْ يَطِقِ الْبَقَاءَ فِي الْبَيْتِ — مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ — وَهَجَرَ إِلَى حَيْثُ يَعِيشُ مَعَ أُسْرَتِهِ.

(٥) اللَّيْلَةُ الْقَمْرَاءُ

لَمَّا عَرَبَتِ الشَّمْسُ، اجْتَمَعَتِ الْأُسْرَةُ فِي مَكْوَمِهَا (جُحْرِهَا) قَالَ «الْحَرْزُ» لِأَبْنَائِهِ: «هَلْ أَنْتُمْ مُعَدُونَ؟ فَإِنَّا عَلَى الرَّحِيلِ عَازِمُونَ.»

أَسْرَعَ «أَبُو نَبِيهِ» — وَهُوَ أَكْبَرُ أَبْنَاءِ «الْحَرْزِ» — إِلَى أُمِّهِ «عِكْرَشَةَ» لِيُودِّعَهَا قَبْلَ سَفَرِهِ. كَانَتْ مُمَدَّدَةً فِي رُكْنٍ مُنْزَوٍ مِنَ الْجُحْرِ، تَعَانِي الْآمَ الْمَرَضِ.

سَأَلَهَا مَحْزُونًا لِسَقَامِهَا: «كَيْفَ أَمْسَيْتِ، يَا أُمًّا؟»  
أَجَابَتْهُ: «لَا زِلْتُ أُعَانِي الْآمَ الْمَرَضِ. إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ أَهَمَّ بِالْقِيَامِ، فَتَكَادُ سَاقَايَ لَا تَحْمِلَانِي لِضَعْفِهِمَا!»



## زَهْرَةُ الْبَرَسِيمِ

قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبَرَسِيمِ»: «كَلَّا. لَا تَقُولِي ذَلِكَ، يَا أُمَّاهُ!»  
 أَقْبَلْتُ عَلَى أُمَّهَا تُؤَسِّبُهَا (تُصَرِّهَا)، وَتَمُرُّ لِسَانَهَا عَلَى أُذُنَيْهَا — فِي حُنُوٍّ وَرِفْقٍ —  
 وَتُسْرِي (تُدْهِبُ) عَنْهَا مَا تُكَابِدُهُ مِنْ أَلَمٍ، وَتُبَشِّرُهَا بِقُرْبِ شِفَائِهَا.  
 رَأَى «الْخُرْزُ» أَنَّ الْوَقْتَ يَمُرُّ سَرِيعًا، فَصَاحَ فِي أَبْنَائِهِ أَمْرًا: «هَلُمُّوا أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ. لَقَدْ  
 أَرْسَلَ الْقَمَرُ — فِيمَا أَعْتَقَدُ — أَشْعَثَةَ الْفَاتِنَةِ عَلَى الدُّنْيَا. لَا بُدَّ أَنْ نَتَعَشَى. لَا تُضِيعُوا وَقْتَكُمْ  
 عَبَثًا. سَأُرِيكُمْ: أَيُّ حَقْلٍ مِنْ حُقُولِ الْبَرَسِيمِ قَدْ وُقِفَتْ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ؟ إِنَّهُ حَقْلٌ حَافِلٌ  
 (مُحْتَشِدٌ مَمْلُوءٌ) بِذَلِكَ الطَّعَامِ الشَّهِيِّ، السَّائِعِ الْهَنِيِّ، الَّذِي يَتَحَلَّبُ رِيقَنَا (يَسِيلُ لِعَابُنَا)  
 شَوْقًا إِلَيْهِ. لَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ؛ فَهُوَ مِنْ لَذَائِدِ الْأَطْعِمَةِ الَّتِي تَصْبُو (تَمِيلُ) إِلَيْهَا نَفُوسُنَا.»



صَاحَ الْأَبْنَاءُ يُودِّعُونَ أُمَّهُمْ — فِي جَزَعٍ وَأَسْفٍ — ثُمَّ حَرَجُوا مِنْ جُحْرِهِمْ، وَرَفَعُوا  
 أَذَانَهُمْ وَأَذَانِبَهُمْ فِي الْهَوَاءِ، وَأَسْلَمُوا سُوقَهُمْ لِلرِّيحِ، سَاقًا بَعْدَ سَاقٍ، وَهُمْ يَقْفِزُونَ فِي رَشَاقَةٍ  
 وَخِفَةٍ عَجِيبَتَيْنِ.

وَقَفُوا عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ يَنْتَظِرُونَ مَقْدَمَ أَبِيهِمْ «الْخُرْزُ» لِيُرْشِدَهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْحَقْلِ.  
 كَانَ «الْخُرْزُ» — حِينئِذٍ — يُوَسِّي (يُعْزِي) زَوْجَتَهُ «عِكْرَشَةَ» الْمَرِيضَةَ، وَيُوصِيهَا  
 بِالصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ، وَيَتَمَنَّى لَهَا نَوْمًا هَادِيًا.  
 شَكَرَتْ لَهُ «عِكْرَشَةُ» ذَلِكَ الْعَطْفَ، وَتَمَنَّتْ لَهُ السَّلَامَةَ فِي رِحْلَتِهِ (سَفَرِهِ)، حَتَّى يَصِلَ  
 إِلَى رِحْلَتِهِ (الْجَهَةِ الَّتِي يَقْصِدُهَا).

حَانَتْ مِنْ «الْخُرْزُ» التَّفَانَةُ. رَأَى «زَهْرَةَ الْبَرَسِيمِ» لَا تَزَالُ بَاقِيَةً فِي الْجُحْرِ. قَالَ لَهَا:  
 «مَا بِأَنَّكَ لَمْ تَذْهَبِي مَعِ إِخْوَتِكَ؟ أَلَا تُحِبِّينَ أَنْ تُشْرِكِينَ فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ الْجَمِيلَةِ؟»  
 قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبَرَسِيمِ»: «كَلَّا، يَا أَبَتِ. لَنْ أَتْرُكَ أُمَّي الْمَرِيضَةَ وَحِيدَةً فِي هَذَا الْجُحْرِ!»  
 قَالَ لَهَا «الْخُرْزُ»: «بَارَكَ اللهُ فِيكَ، يَا عَزِيزَتِي. إِنِّي مُكَافِئُكَ — عِنْدَ عَوْدَتِي — بِمَا  
 يَسُرُّكَ. فَوَدَاعًا.»

## فَاتِحَةُ الْقِصَّةِ

حَرَجَ «الْحُرْزُ». رَأَى أَبْنَاءَهُ يَنْتَظِرُونَ مَقْدَمَهُ عَلَى مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ مِنَ الْجُرِّ. لَمَّا رَأَوْهُ مُقْبِلًا هَتَفُوا فَرِحِينَ. تَقَدَّمَ «الْحُرْزُ»، وَتَبِعَهُ بَنُوهُ. كَانُوا يَقْفِزُونَ فِي الْهَوَاءِ مَسْرُورِينَ.



## الفصل الأول

### (١) عَلَى الْحَشَائِشِ

قَالَتْ «عِزَّتِي» لِبِنْتِهَا «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ»: «مَا بَالُكَ لَمْ تَذْهَبِي مَعَ إِخْوَتِكَ وَأَبِيكَ إِلَى حَقْلِ الْبُرْسِيمِ؟»

أَجَابَتْهَا حَانِيَّةُ (عَاطِفَةٌ) مُنَوَّدَةً: «كَلَّا يَا أُمَّاهُ. مَا أَنَا بِجَائِعَةٍ. وَلَسْتُ أُؤَثِّرُ (لَا أُخْتَارُ) شَيْئًا فِي الدُّنْيَا عَلَى الْبَقَاءِ إِلَى جَانِبِ أُمِّي الْحَبِيبِ. هَلُمَّي (أَقْبِلِي). نَامِي عَلَى هَذِهِ الْحَشَائِشِ اللَّيِّنَةِ الرَّقِيقَةِ؛ لَعَلَّهَا تُخَفِّفُ شَيْئًا مِنْ أَوْجَاعِكَ، وَتُرِيلُ الْآمَ سَاقِيكَ.»

لَمْ تَتَرَدَّدْ «عِزَّتِي» فِي ذَلِكَ.  
أَعَانَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ». أَقَامَتْهَا حَتَّى أَجْلَسَتْهَا عَلَى الْحَشَائِشِ.  
جَلَسَتْ إِلَى جَانِبِهَا صَامِتَةً (سَاكِتَةً).

### (٢) حُبُّ الْقِصَصِ

سَأَلَتْهَا «عِزَّتِي»: «فِيمَ تُفَكِّرِينَ يَا عَزِيزَتِي؟»  
أَجَابَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «أَنْتِ أَدْرِي بِمَا يَشْغَلُنِي، يَا أُمَّاهُ. لَكِنَّكَ مَرِيضَةٌ مُتْعَبَةٌ.  
لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ بِكَ أَنْ أُرِيدَكَ تَعَبًا.»  
قَالَتْ لَهَا «عِزَّتِي»: «آه. لَقَدْ عَرَفْتُ مَا تَطْلُبِينَ! أَلَسْتَ تُرِيدِينَهَا قِصَّةً؟»  
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «لَمْ تَعْدِي (لَمْ تَتَجَاوَزِي) مَا فِي نَفْسِي، يَا أُمَّاهُ. لَيْسَ أَشْهَى إِلَيَّ مِنْ سَمَاعِ قِصَصِكَ الْمُعْجَبَةِ.»



قَالَتْ «عِكْرَشَةُ»: «اجْلِسِي أَمَامَ نَاطِرِي لِأُمَّتَّعِ بِرُؤْيَيْكَ، وَبِيَهَجِ نَفْسِي جَمَالُ عَيْنَيْكَ الْبَرَاقَتَيْنِ. إِنِّي قَاصَّةٌ عَلَيْكَ مَا وَقَعَ لِأَحَدٍ أَشَقَّائِكَ، مُنْذُ زَمَنِ بَعِيدٍ، لَا أَحْسَبُهُ يَقُولُ عَنِ اثْنِي عَشَرَ شَهْرًا.»

### (٣) الطِّفْلُ الصَّغِيرُ

أَنْصَتَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» (سَكَتَتْ مُسْتَمِعَةً) لِحَدِيثِهَا. أَزْهَفَتْ أُنْذِنَهَا لِسَمَاعِ الْقِصَّةِ. اسْتَأْنَفَتْ «عِكْرَشَةُ» قَائِلَةً: «فِي مَسَاءِ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ خَرَجْتُ وَمَعِيَ وَلَدِي «أَبُو نَبْهَانَ». لَعَلَّهَا أَوَّلُ مَرَّةٍ أَخْرَجْتُهُ فِيهَا مِنَ الْجُبْرِ. نَهَبْنَا إِلَى حَقْلٍ نَاءٍ (بَعِيدٍ) مِنْ حُقُولِ «السَّعْتَرِ». كَانَ «أَبُو نَبْهَانَ» — بِكُرِّ أَوْلَادِي — مُدَلَّلًا (مَحْبُوبًا) يَلَاطِفُ وَتَتْرَكَ لَهُ الْحَرِيَّةُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ). كَانَ — إِلَى ذَلِكَ — عَنِيدًا شَادًّا. أَلَا تَفْهَمِينَ مَا أَغْنِيهِ؟ أَغْنِي: أَنَّهُ كَانَ يَسِيرٌ وَفَقَّ أَهْوَاهِهِ، لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ. إِذَا عَنَّتْ (حَطَرَتْ) لَهُ فِكْرَةٌ خَاطِنَةٌ، لَمْ يَسْتَشِرْ أَحَدًا، وَلَمْ يَخْشَ كَائِنًا كَانَ، وَلَمْ يَبَالِ الْعَوَاقِبَ. إِذَا أَجْمَعَ إِخْوَانَهُ وَخُلَصَاؤَهُ (الْمُخْلِصُونَ لَهُ) عَلَى فَسَادِ حُطَّتِهِ، وَخَطَا طَرِيقَتِهِ، هَزَأَ بِهِمْ، وَسَخَرَ مِنْهُمْ، وَلَمْ يُصْغِعْ (لَمْ يَسْتَمِعْ) إِلَى نُصْحِهِمْ،

وَأَصَرَ عَلَىٰ إِنْفَازِ مَا يُرِيدُ، فِي لَجَاجَةٍ وَإِلْحَاحٍ وَعِنَادٍ. جَرَّتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْحَمَاقَةُ أَشَدَّ النُّكْبَاتِ  
«....»

#### (٤) فِي سَبِيلِ الطَّعَامِ

سَكَتَتْ «عِكْرِشَةُ». تَأَوَّهَتْ مِنْ أَوْجَاعِهَا. قَالَتْ: «آي! آي! سَاقِي الْيُمْنَى ... شَدَّ مَا تَوْلَمْنِي  
سَاقِي الْيُمْنَى! ... أَلَا تُسَاعِدِينِنِي عَلَى الْحَرَكَةِ لِأَضْطَجَعَ عَلَى جَنْبِي الْأَيْسَرِ؟»  
لَبَّتْ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ» طَلَبَهَا. شَكَرَتْ لَهَا «عِكْرِشَةُ» صَنِيعَهَا، وَحَمَدَتْ مَعْرُوفَهَا.  
قَالَتْ لَهَا: «لَسْتُ أَذْكَرُ أَيْنَ انْتَهَيْتُ فِي تِلْكَ الْقِصَّةِ؟ آه ... ذَكَرْتُ الْآنَ كُلَّ شَيْءٍ ...  
حَدَّثْتُكَ أَنَّ «أَبَا نَبْهَانَ» كَانَ غَرِيبَ الطَّبْعِ. لَمْ يَشَأِ الْبَقَاءَ مَعَنَا فِي حَقْلِ «السَّعْتَرِ»: يَقْضِمُ  
مِنْهُ (يَكْسِرُ بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهِ) مَا يَشْتَهِي، وَيَأْكُلُ مِنْ طَيِّبَاتِهِ كَمَا نَأْكُلُ. أَبِي إِلَّا أَنْ يَتَسَلَّلَ  
(يَتَنَقَّلُ مُسْتَخْفِيًا) إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ. ابْتَعَدَ عَنَّا بَعْدَ قَلِيلٍ. لَعَلَّهُ كَانَ يَبْحَثُ عَنِ طَعَامٍ آخَرَ.

#### (٥) صَرْخَةُ الْمُسْتَعِيثِ

إِنِّي لِأَقْضِمُ سَاقًا مُزْدَهَرَةً مِنَ النَّبَاتِ، إِذْ دَوَّتْ فِي أُذُنِي صَرْخَةُ مُرْجَجَةٍ. أَجَلْتُ بَصْرِي (دُرْتُ  
بِعَيْنِي) فِي أَوْلَادِي لِأُحْصِيَهُمْ (لَأَعْدَهُمْ). لَمْ أَجِدْ بَيْنَهُمْ «أَبَا نَبْهَانَ». قَفَزْتُ عَادِيَةً (جَارِيَةً)  
— يَمَنَةً وَيَسْرَةً — وَأَنَا أَنَادِيهِ بِأَعْلَى صَوْتِي: «يَا أَبَا نَبْهَانَ! إِلَيَّ يَا أَبَا نَبْهَانَ.»  
سَمِعْتُهُ يُغَوِّثُ، طَالِبًا النَّجْدَةَ.

#### (٦) بَيْنَ مَخْلَبَيْنِ

أَعَزُّزُ عَلَيَّ مَا لَقِيتَ مِنَ الْأَلَامِ، يَا «أَبَا نَبْهَانَ»!  
أَتَعْرِفِينَ مَا رَأَيْتُ — حِينئذٍ — يَا «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ»؟  
رَأَيْتُ مَا فَرَّعَنِي وَهَالَنِي وَكَادَ قَلْبِي يَنْفَطِرُ لَهُ (يَنْشَقُّ): أَبْصَرْتُ وَوَلَدِي الْعَزِيزَ بَيْنَ  
مَخْلَبَيْنِ سَبْعَ مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ (طَائِرٍ مِنْ أَكْلَةِ اللُّحُومِ) ... لَكَ اللَّهُ، يَا وَلَدِي. حَاوَلْتُ —  
جُهْدَكَ — أَنْ تُفْلِتَ مِنْ مَخْلَبِيهِ، لَمْ تَسْتَطِعْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا.



كُنْتَ تَسْتَصْرِحُ أَمَكِ الْحُنُونِ الْمَسْكِينَةَ، فَلَا تَقْدِرُ عَلَى إِنْقَادِكَ مِنْ بَرَائِثِ الرَّدَى (أَصَابِعِ الْمَوْتِ)!  
 هَمَمْتُ — يَا «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ» — أَنْ أُسْرِعَ لِنَجْدَتِهِ. لَكِنَّ سَاقِي لَمْ تَقْوِيَا. لَمْ أُسْتَطِعِ  
 السَّيْرَ. انْتَضَمْتَنِي الرَّعْدَةُ (شَمِلْتَنِي الرَّعْشَةُ) سَرَتْ فِي جِسْمِي. تَفَكَّكْتَ أَوْصَالِي. لَمْ أَخْطُ —  
 مِنْ مَكَانِي — خُطُوَةً وَاحِدَةً. وَقَفْتُ — حَيْثُ كُنْتُ — وَقَلْبِي يَكَادُ يَتَمَزَّقُ مِنَ الْأَلَمِ. دَنَتْ  
 السَّاعَةُ الْمَرْهُوبَةُ الْهَائِلَةُ ...

### (٧) دَمْعَةُ الْحُزْنِ

لَمَّا وَصَلْتَ «عِكْرِشَةَ» إِلَى هَذَا الْحَدِّ الْمُؤْتَرِّ، هَاجَتْهَا الدُّكْرَى. وَقَفْتَ عَنِ الْكَلَامِ. كَفَّكَتْ  
 (مَسَحَتْ) بِيَدِهَا دَمْعَةً مُتَحَدِّرَةً عَلَى أَنْفِهَا.  
 أَقْبَلْتُ عَلَيْهَا «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ» تُوَسِّئُهَا، وَتَقُولُ لَهَا: «كَفَى.. كَفَى، يَا أُمَاهُ!.. لَا تُتِمِّي  
 هَذِهِ الْقِصَّةَ، مَا دَامَتْ تُثِيرُ أَشْجَانِكَ وَهُمُومِكَ.»  
 تَجَلَّدَتْ «عِكْرِشَةُ». قَالَتْ لِبِنْتِهَا مُتَأَسِّبَةً (مُتَعَزِّبَةً مُتَصَبِّرَةً): «إِنَّ قَضَاءَ اللَّهِ مُحْتُومٌ، لَا  
 سَبِيلَ إِلَى دَفْعِهِ. إِنِّي مُتِمَّةٌ مَا بَدَأْتُهُ. أَنْصِبِي إِلَيَّ. أُنْكَرِي هَذَا الْحَدِيثَ طُولَ عُمْرِكَ. إِنَّ فِيهِ  
 دَرْسًا نَافِعًا لَكَ، وَعِبْرَةٌ لِكُلِّ مَنْ يَعْتَبِرُ. السَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ (عَرَفَ الْعَوَاقِبَ وَتَذَكَّرَهَا بِمَا  
 يَحْدُثُ لِسِوَاهُ)، وَالشَّقِيُّ مَنْ وَعِظَ بِنَفْسِهِ (عَرَفَ الْعَوَاقِبَ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ السُّوءِ وَالْأَذَى).»

### (٨) مَصْرَعُ «أَبِي نَبْهَانَ»

سَكَتَتْ «عِكْرِشَةُ» لَحْظَةً. اسْتَأْنَفَتْ قَائِلَةً: «رَأَيْتُ لِهَذَا السَّبْعِ الْفَاتِكِ مُنْقَارًا أَعْفَفَ (مُلْتَوِيًّا)  
 وَعَيْنَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ مُسْتَدِيرَتَيْنِ. عَلِمْتُ أَنَّهُ عَدُونًا لِلدُّودِ: «أُمُّ الْخَرَابِ!»  
 رَأَيْتُ «أُمَّ الْخَرَابِ» — أَعْنِي: تِلْكَ الْبُومَةُ الْفَرَّاسَةُ الْعَادِيَّةُ (الظَّالِمَةُ) — تَرْتَفِعُ بِوَلَدِي  
 فَجَاءَتْ. رَأَيْتُهَا تُضْرِبُهُ بِمِنْقَارِهَا الْحَادِّ ضَرْبَةً وَاحِدَةً فَتُحْمِدُ أَنْفَاسَهُ.  
 رَأَيْتُ «أَبَا نَبْهَانَ» يَكْفُ عَنْ صِرَاحِهِ: مَالَ رَأْسَهُ. تَخَلَّجَ ذَنْبُهُ (اضْطَرَبَ وَتَحَرَّكَ)!  
 فَاصْتُ رُوحَهُ. أَصْبَحَ جُثَّةً هَامِدَةً.

## الفصل الأول

أَمَسَكَتْ بِهِ «أُمُّ الْخَرَابِ» بَيْنَ مَخْلَبَيْهَا. فَتَحَتْ مِنْقَارَهَا الْهَائِلَ. ابْتَلَعَتْهُ. غَاصَ فِي جَوْفِهَا.»

(٩) حُزْنُ الْعَشِيرَةِ



اسْتَأْنَفْتُ «عِكْرِشَةَ»، قَائِلَةً: «ظَلَلْتُ أَبِي - بَيْنَ الْأَعْشَابِ - زَمَنًا طَوِيلًا، حَتَّى نَفَدْتُ دُمُوعِي (فَنَيْتُ). رَجَعْتُ إِلَى الْحَقْلِ مَحْزُونَةً كَاسِفَةَ الْبَالِ، تَغْشَانِي الْهُمُومُ. أَخْبَرْتُ عَشِيرَتِي

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

بِذَلِكَ الْحَادِثِ الْجَلِيلِ (الْعَظِيمِ). تَمَلَّكَ الْأَسْفُ قُلُوبَهُمْ. بَكَوْا لِمُصَابِي فِي عَزِيزِي الْحَبِيبِ:  
«أَبِي نَبَّهَانَ».

دَنَا مِنِّي عَمَّكَ الشَّيْخُ «أَبُو نَابِهِ». ظَلَّ يُؤَسِّسِنِي. هُوَ — كَمَا تَعَلَّمِينَ — شَيْخٌ مُجَرَّبٌ  
بَصِيرٌ.»

(١٠) خُطْبَةُ «أَبِي نَابِهِ»



وَقَفَّ عَلَى سَاقَيْهِ، أَشَارَ بِبَيْدَيْهِ يَخْطُبُ الْأَرَانِبَ فِي فَصَاحَةٍ وَطَلَّاقَةٍ. كَانَ يَقُولُ:

## عزيراتي وبناتي وأبنائي:

إِنَّ قَلْبِي حَزِينٌ يَكَادُ يَنْفَطِرُ مِنَ الْأَسَى وَالْأَلَمِ. إِنَّ «أَبَا نَبَهَانَ» — وَهُوَ ابْنُ أُخِي الْعَزِيرِ — كَانَ مِثَالَ الذُّكَاةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِثَالَ الطَّاعَةِ. كَانَ — لَوْلَا عِنَادُهُ — وَإِعْدَا (مَرْجُوُّ الْمُسْتَقْبَلِ). لَوْ عَاشَ لِأَصْبَحَ فَخَارَ أَسْرَتِنَا، وَمَنَاطَ رَجَائِنَا (مَعِدَدِ أَمَلِنَا الَّذِي نَتَعَلَّقُ بِهِ). لَكِنَّ الْقَضَاءَ عَاجِلُهُ. لَيْسَ لَنَا مِنْ حِيلَةٍ فِي رُدِّ عَادِيَةِ الرَّدَى وَدَفْعِ غَائِلَةِ الْمَوْتِ (هُجُومِهِ)؛ فَلَنْبِكِهِ مُتَرَحِّمِينَ عَلَيْهِ.

بَكَتْ أَسْرَةَ الْأَرَانِبِ مَصْرَعَ «أَبِي نَبَهَانَ» وَفَاجِعَتَهُ.  
اسْتَأْنَفَ «أَبُو نَابِهٍ» قَائِلًا:

## وَأَنْتُمْ يَا أَبْنَاءَ أُخِي، وَيَا بَنَاتِ شَقِيقِي الْعَزِيرِ:

أَلَمْ تَعْتَبِرُوا بِهَذَا الْمَصْرَعِ الْمُؤَلِّمِ؟ أَرَأَيْتُمْ عَاقِبَةَ الْعِنَادِ، وَالْإِنْفِرَادِ بِالرَّأْيِ، وَاحْتِقَارِ نَصِيحَةِ النَّاصِحِينَ؟ فَلْيَكُنْ لَكُمْ فِي هَذَا الْمَصَابِ دَرْسٌ وَعِظَةٌ، وَلِتُعَاهِدُونِي — جَمِيعًا — عَلَى أَنْ تَكُونُوا مِثَالَ الطَّاعَةِ، وَأَنْ تَعِيشُوا كَمَا يَعْيشُ الْعُقَلَاءُ الْمُتَبَصِّرُونَ؛ حَتَّى تَأْمَنُوا مِثْلَ هَذِهِ الْخَاتِمَةِ الْمَفْرَعَةِ.

## (١١) نَصِيحَةُ الْمَجْرِبِينَ

كَانَ الْأَرَانِبُ الصَّغَارُ يُصْغُونَ (يَسْتَمْعُونَ) إِلَى كَلَامِ «أَبِي نَابِهٍ» وَيُنْصِتُونَ إِلَى نَصِيحَتِهِ، بِقُلُوبٍ وَاعِيَةٍ. أَرْهَفُوا آذَانَهُمْ، فَلَمْ تَفِلْتْ مِنْهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يَتَحَرَّكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَقْلَ حَرَكَةٍ.

قَالَ «أَبُو نَابِهٍ» مُسْتَأْنَفًا:

مَتَى حَلَلْتُمْ حَقْلًا مِنْ حُقُولِ الْكُرْنِبِ، فَلَا تَشْغَلَنَّكُمْ لَذَّةُ الطَّعَامِ عَنِ التَّبَصُّرِ وَالْيَقِظَةِ، وَلِتُرْهَفُوا أَسْمَاعَكُمْ حَتَّى لَا تَدَهَمَكُمُ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ»: تِلْكَمُ الْبُؤْمَةُ الْفَانِكَةُ الْعَادِيَةُ (الظَّالِمَةُ) الَّتِي قَتَلَتْ شَقِيقَكُم. إِنَّهَا تَتَحَيَّنُ الْفُرْصَ لِقَتْلِكُمْ، وَتَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرِ؛ وَهِيَ أَلْدُ أَعْدَاتِنَا.

## زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

إِذَا سَمِعْتُمْ صَوْتَهَا الْكِرِيهَ وَهِيَ تَصِيحُ «وُو - وُو!» فَاحْتَبِئُوا - مِنْ  
فَوْرِكُمْ فَإِنَّهَا حَادَّةُ الْبَصْرِ وَالسَّمْعِ.

وَهِيَ تَرَى وَتَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَهْبِطُ عَلَيْنَا فَجَاءَةً دُونَ أَنْ نَسْمَعَ لَهَا حَرَكَةً،  
وَتَقْتُلُنَا بِنَقْرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ مَنَقَارِهَا الْحَادِّ الْأَعْفَفِ (الْمُنْحَنِِي)، وَتَبْتَلِعُنَا دَفْعَةً  
وَاحِدَةً: شَعْرًا وَلَحْمًا وَدَمًا وَعَظْمًا!

وَهِيَ تَقْتَنِنُنَا - مَعْشَرَ الْأَرَانِبِ - كَمَا تَقْتَنِنُصُ الْفِرَّانَ وَالْجِرْدَانَ وَبَنَاتِ  
عَرِسٍ، وَغَيْرَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْحَيَوَانَ.

وَطَرِيقُهَا أَنْ تَبْتَلِعَ الْفَرِيْسَةَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَتَحْزُنَهَا فِي جَوْفِهَا حَتَّى يَتِمَّ  
هَضْمُهَا، ثُمَّ تَلْقِي بِعِظَامِهَا وَفَرُوهَا - أَوْ رِيْشِهَا - فِي الْعُشِّ؛ لِتَتَّخِذَ هَذِهِ  
الْبُومَةُ مِنْهَا أَثَاثًا لِبَيْتِهَا، وَفِرَاشًا لَهَا وَلِبَنَاتِهَا.

## (١٢) عِقَابُ الشَّرِّه



هُنَا بَدَا النَّعْبُ عَلَى أَسَارِيرِ حَطِيْبِينَا (حُطُوطِ جَبِينِهِ). وَقَفَ عَنِ الْكَلَامِ لِحُظَّةً. أَجَالَ بَصَرَهُ،  
وَأَدَارَ عَيْنَيْهِ فِينَا. كُنَّا نُحِيْطُ بِهِ مُنْصِتِينَ إِلَى نُصْجِهِ التَّمِينِ وَسَطِ الْحَقْلِ. لَمَعَتْ عَيْنَاهُ فِي  
ضَوْءِ الْقَمَرِ. بَدَا شَعْرُهُ الْأَبْيَضُ - حِينِيذٍ - فَمَارَهُ (أَطْهَرَهُ) مِنَ الْأَرَانِبِ الرَّمَادِيَّةِ الْأُخْرَى.  
اسْتَأْنَفَ عَمَّكَ قَائِلًا:

للبومة — كما لأمثالها من الجوارح، أعني: سباع الطير كالصقر والحدأة —  
 منقار معقوف (شديد الإنحاء). وهو — على قصره — غليظ متين.  
 مخالبها — كما حدّثنا الثقات العارفون — قويّة قابضة منحنيّة، تُشبّها  
 (تعلّقها) في الجدران وعُصون الشجر.  
 متى شبعت البومة، نامت على غصنها — حيث أقامت عشها — نومًا  
 عميقًا.

لكن لا تنسوا — يا أولادي — أن لكل إساءة عقابًا، وأن جزاء البغي والظلم  
 وشدة النهم (الشراهة في الأكل)، لا بدّ حائق بذويه (محيط بأصحابه)، عاجلاً أو  
 آجلاً.

إن «أمّ الخراب» ما إن تستيقظ من سباتها العميق (نومها المستغرق)،  
 حتى تنتابها الألام والأوجاع في رأسها ومعدتها، كما تنتابنا إذا أفرطنا في أكل  
 الحشائش المبتلّة، سواء بسواء.  
 ليست تخفّ الأمها حتى تلفظ من جوفها جلدنا وعظمنّا. فإذا أخرجته  
 استسلمت للنوم مرّة أخرى.



## الفصل الثاني

### (١) حُطْبَةُ «الْحَزِينِ»

لَمَّا أْتَمَّ عَمُّكَ الشَّيْخُ «أَبُو نَابِه» هَذِهِ الْحُطْبَةَ النَّفِيسَةَ، نَهَضَ فِي إِثْرِهِ خَالِكُ الْحَكِيمِ الشَّيْخُ: «الْحَزِينُ»؛ فَشَكَرَ لِذَلِكَ الْحَطِيبِ الْمُبْدِعِ نَصَائِحَةَ التَّمِينَةِ. ثُمَّ قَالَ، بَعْدَ أَنْ أَتَى عَلَى خُطَابِهِ الرَّائِعِ:

### أَيُّهَا الْأَهْلُ الْكِرَامُ:

إِنَّ مَصْرَعَ ابْنِ أُخْتِي الْعَزِيزِ: «أَبِي نَبْهَانَ» قَدْ عَزَّ عَلَيْنَا جَمِيعًا، فَاْمْتَلَأَتْ قُلُوبُنَا مِنْهُ حُزْنًا وَأَسْفًا. لَكِنَّ الْحُزْنَ وَالْأَسْفَ — كَمَا تَعْلَمُونَ — لَا يَنْفَعَانِ أَحَدًا. فَلَنْتَخِذْ مِنْ مَصْرَعِهِ عِبْرَةً لَنَا وَمَوْعِظَةً؛ فَلَا نُعْرِضَنَّ أَنْفُسَنَا — مَرَّةً أُخْرَى — لِخَطَرِ هَذِهِ الْعُدُوِّ اللَّدُودِ الَّتِي فَتَكَّتْ بِفَقِيدِنَا الْعَزِيزِ «أَبِي نَبْهَانَ»، وَلَا نَسْتَهِينَنَّ بِخَطَرِهَا وَقُوَّتِهَا، وَإِلَّا أَصَابْنَا مِثْلُ مَا أَصَابَ الْفَتَى الطَّائِشَ: أَبَا دِرْصَانَ.

### (٢) الْعَجُوزُ الْقَاسِيَةُ

صَاحَ الْحَاضِرُونَ يَسْأَلُونَهُ: «وَمَا هِيَ قِصَّةُ أَبِي دِرْصَانَ؟»  
قَالَ «الْحَزِينُ»:



### أَيُّهَا الْأَعْرَاءُ!

عَلَى سَطْحِ جُرْنِ عَالٍ، فِي حَقْلِ مُنْبَسِطٍ فَسِيحٍ، عَاشَتِ الْعَجُوزُ الْقَاسِيَةَ، بَعْدَ أَنْ  
اتَّخَذَتْ فِي ذِرْوَةِ الْجُرْنِ (أَعْلَاهُ) بَيْتًا تَأْوِي إِلَيْهِ مَعَ صِبْيَانِهَا الصَّغَارِ. أَنْعَرِفُونَ  
مِنَ الْعَجُوزِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَأْوِي إِلَى بَيْتِهَا الْعَالِي فِي سَقْفِ الْجُرْنِ الَّذِي  
يَخْزَنُ فِيهِ الزَّارِعُونَ مَا يَجْمَعُونَ مِنْ غَلَاتِ حُقُولِهِمْ؟  
إِنَّهَا عَدُوَّتُكُمْ اللَّدُودُ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ»: تَلَكُمُ الْبُومَةُ الَّتِي حَدَّثَكُمْ عَنْهَا عَمَّكُمْ  
الشَّيْخُ الْمَجْرُبُ: «أَبُو نَابِهٍ». تَلَكُمُ الْعَجُوزُ الْفَرَّاسَةُ الْفَتَّاكَةُ الَّتِي لَا تَعْرِفُ الرَّحْمَةَ  
إِلَى قَلْبِهَا سَبِيلًا.

### (٣) طُرْطُورُ الْعَجُوزِ

هِيَ فِي حَجْمِ الْغُرَابِ. لِكِنَّهَا أَوْفَرُ دِمَامَةٍ (أَكْثَرُ قُبْحًا) وَأَعْنَفُ طَبْعًا، وَجِسْمُهَا مُنْقَطٌ  
بِالْبَيَاضِ.

اجْتَمَعَ الرَّيْشُ فِي رَأْسِهَا. أَحَاطَ بِهِ. خَيَّلَ إِلَى رَأْيِهَا أَنَّ طُرْطُورًا يَبْدُو عَلَى جَبِينِهَا.  
أَطَلَّتْ مِنْ خِلَالِ هَذَا الطُّرْطُورِ عَيْنَانِ صَفْرَاوَانِ، اسْتَدَارَتَا كَمَا تَسْتَدِيرُ الْحَلَقَتَانِ  
الْوَاسِعَتَانِ، وَالتَّهَبَّتَا كَمَا يَلْتَهَبُ الْمُصْبَاحَانِ الْمُضِيئَانِ.

### (٤) ضَوْءُ الْبَدْرِ

كَانَ الْبَدْرُ يَمَلَأُ الدُّنْيَا نُورًا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ. كَانَ يُرْسِلُ ضَوْءَهُ الْوَهَّاجَ عَلَى الْحُقُولِ فَيُنِيرُهَا،  
وَعَلَى الْأَشْجَارِ فَيَجُوسُ (يَتَخَلَّلُ) أَعْصَانَهَا الْعَارِيَةَ، ثُمَّ يَنْفِذُ إِلَى الْأَرْضِ، فَيَبْدُدُ الظَّلَامَ  
الْحَالِكَ.

(٥) «أَبُو دِرْصَانَ»

سَيِّدِي الْعَمِّ، سَيِّدَاتِي وَسَادَاتِي: بَنَاتِ نَبْهَانَ وَالْحَزْرَةَ:  
رَوَيْتُ عَنْ أُمِّي، عَنْ أَبِيهَا، عَنْ جَدِّهَا: أَنَّ جُرْدًا (فَأْرًا) اسْمُهُ: «أَبُو دِرْصَانَ»،  
كَانَ يَعْيشُ مَعَ وَالِدَتِهِ: «أُمِّ رَاشِدٍ» فِي جُحْرٍ صَغِيرٍ اتَّخَذَاهُ مَسْكَنًا لَهُمَا فِي أَسْفَلِ  
حَائِطِ هَذَا الْجُرْنِ الْكَبِيرِ الَّذِي حَدَّثْتُمْ بِهِ.

(٦) عُمُرُ الْبَدْرِ

كَانَتْ اللَّيْلَةُ لَيْلَةَ الْبَدْرِ — فِيمَا أَظُنُّ — أَغْنِي أَنْ عُمُرَ الْقَمَرِ حِينَئِذٍ كَانَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.  
أَوْ لَعَلَّهَا كَانَتْ لَيْلَةَ السَّوَاءِ. أَغْنِي أَنْ عُمُرَ الْقَمَرِ كَانَ فِيهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

(٧) الْغِنَاءُ الْمَرْعَجُ

نَعَبَتِ الْبُومَةُ (صَوَّتَتْ) — عَلَى عَادَتِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ — بِصَوْتِهَا الْقَبِيحِ؛ فَانْرَعَجَ — لِسَمَاعِ  
نَعْبِهَا — كُلُّ كَائِنٍ حَيٍّ. كَانَتْ تُسَمَّى صِرَاحَهَا الْقَبِيحَ: غِنَاءً، وَهِيَ تُصَوِّتُ نَاعِبَةً:

تُو — وَت — تُو — وَو  
تُو — وَت — تُو — تُو  
تُو — وَت — تُو — وَو

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

عَا - شُوا - مَا - تُوا



لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ يَطْرَبُ لِصَوْتِهَا الْقَبِيحِ غَيْرَهَا.

(٨) غَيْظُ «أَبِي دِرْصَانَ»

بَيْنَا هِيَ مُسْتَرْسَلَةٌ فِي نَعِيْبِهَا، إِذْ أَطَلَّ «أَبُو دِرْصَانَ» مِنْ جُجْرِهِ الصَّيِّقِ. هُوَ فَتَى مِنْ  
فَتَيَانِ الْجِرْدَانِ (الْفِيرَانِ). كَانَ سَلِيْطًا (طَوِيْلَ اللِّسَانِ سَيِّئَ الْكَلَامِ).  
قَالَ لِلْبُوْهَةِ (الْبُوْمَةِ) «أُمُّ الصَّبِيَّانِ»: «أَيَّ صَوْتٍ مُزْعِجٍ تُرْسِلِينَ؟ أَمْرِيضَةٌ أَنْتِ؟ لِمَاذَا  
تَنْعَبِينَ؟»

تَعَاَصَتْ عَنْهُ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» (أَعْرَضَتْ وَلَمْ تُبَالِ). تَرَفَّعَتْ عَنْ مُنَاقَشَتِهِ. أَعْمَضَتْ عَيْنَهَا عَنْهُ. كَانَتْ أَحْزَمَ وَأَكْيَسَ مِنْ أَنْ تُنَاقِشَ «أَبَا دِرْصَانَ»: نَلِكُمْ الطِّفْلَ الطَّائِشُ السَّلِيْطُ اللَّسَانَ.

تَلَقَّ ضَوْءَ الْقَمَرِ؛ فَأَنَارَ عَلَيْهِمَا جَمِيْعًا. ابْتَسَمَ لِلْكُوْنِ ابْتِسَامَتَهُ الْمَحْبُوْبَةَ. لِكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ — فِيمَا أَعْلَمُ — يَأْبُهُ لَهْمَا (يَهْتَمُّ بِهِمَا)، أَوْ يُعْنَى بِأَمْرِهِمَا.

### (٩) جَزَعُ «أُمِّ رَاشِدٍ»

قَفَرَ «أَبُو دِرْصَانَ» عَائِدًا إِلَى جُحْرِهِ. تَلَقَّنَتْهُ «أُمُّ رَاشِدٍ» مَذْعُورَةً. قَالَتْ لَهُ بِصَوْتٍ مُنْهَدِّجٍ (مُضْطَرِبٍ) يَكَادُ يَتَمَيِّزُ (يَتَقَطَّعُ) مِنَ الْغَيْظِ: «أَيُّ كَلَامٍ هَذَا الَّذِي كُنْتُ تُوجِّهُهُ الْآنَ، إِلَى الْيَوْمَةِ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ»؟ أَلَمْ أَحْذِرْكِ مِنْهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ؟ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنَّهَا مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ، وَإِنَّهَا فَرَّاسَةٌ، قَاسِيَةٌ الْقَلْبِ، صَعْبَةٌ الْمِرَاسِ (عَيْنِيْفَةٌ فِي طَبْعِهَا وَمُعَامَلَتِهَا)، وَإِنَّ فَتَكَاتِهَا بِنَا — مَعْشَرَ الْجِرْدَانَ (الْفِيرَانَ) — قَاتَلَتْهُ مُهْلِكَةً. أَلَمْ أَوْصِكَ بِالْإِتْبَاعِ عَنْهَا، وَالْفِرَارِ مِنْهَا، وَالْهَرَبِ مِنْ لِقَائِهَا، مَا وَجَدْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيْلًا؟ كَيْفَ نَسِيْتَ نَصِيْحَتِي، وَنَعَمَدْتَ الْخُرُوجَ لِهَذَا الطَّائِرِ الْفَتَاكِ؟»

### (١٠) جَوَابُ طَائِشُ

قَالَ «أَبُو دِرْصَانَ»: «لَا تَتَمَادِي (لَا تَدُوْمِي وَلَا تَسْتَرْسِي) فِي غَضَبِكَ، يَا أُمَّاهُ. مَا أَظْنِنِي قَدْ فَعَلْتُ مَا أَسْتَحِقُّ عَلَيْهِ كُلَّ هَذَا اللَّوْمِ وَالتَّعْذِيرِ (الْمَوْأَخَذَةِ وَالتَّوْبِيخِ).»  
ارْتَفَعَ صَوْتُهُ عَالِيًّا، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَعْبَثَ (أَمْزَحَ وَاللَّهْوُ) بِهَا وَأَعَاكِسَهَا. لِمَ لَا؟ صَوْتُهَا — كَمَا تَسْمَعِينَ — مِنْ أَنْكَرِ الْأَصْوَاتِ وَأَقْبَحِهَا. أَيُّ حَرْجٍ عَلَيَّ إِذَا سَخَرْتُ مِنْهَا قَلِيْلًا؟ وَدِدْتُ لَوْ سَمِعْتَهَا وَهِيَ تَتَعَبُّ يَا أُمَّاهُ! إِذَنْ لَمَا تَمَالَكْتِ مِنَ السُّخْرِيَةِ بِهَا. إِنَّ نَعِيْبَهَا الْقَبِيْحَ يُضْحِكُ الْقِطْلَ!»

## (١١) رِعْشَةُ الْخَوْفِ

صَرَحَتْ أُمُّهُ مُغْتَاظَةً: تَمَلَّكَهَا الْفَرْعُ وَالرُّعْبُ: «يُضْحِكُ الْقِطُّ؟ يَا لَكَ مِنْ غَيْبِي جَرِيءٍ! كَثُرَتْ كَلِمَةٌ تَخْرُجُ مِنْ فَمِكَ، أَيُّهَا الْأَبْلَهُ! أَيُّ حَادِثٍ دَهَاكَ فَأَفَقَدَكَ رَشَادَكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ أَيُّ حَبَالٍ اعْتَرَاكَ، فَاذْدَفَعْتَ تَهْرَفُ (تَتَكَلَّمُ عَلَى غَيْرِ هُدًى) بِهَذَا الْهُدْيَانِ؟ طَالَمَا نَهَيْتُكَ عَنِ التَّمَايِي فِي أَمْتَالِ هَذَا الْهُرَاءِ (الْقَوْلِ الْبَاطِلِ)! يُضْحِكُ الْقِطُّ؟ كَيْفَ جَرُوتَ عَلَى أَنْ تَذْكَرَ هَذَا الْإِسْمَ الْكَرِيهَ الْمَفْرَعُ؟ كَيْفَ سَاعَفَكَ لِسَانُكَ عَلَى النُّطْقِ بِهَذَا اللَّفْظِ الرَّاعِبِ؟

إِنَّ سَمَاعَ اسْمِ الْقِطِّ — وَحَدَّهُ — لِيَكْفِي لِإِيدَائِي وَإِلْحَاقِ الْمَرَضِ بِي. وَيُحْك! لَقَدْ ذَكَّرْتَنِي بِهَذَا السَّبْعِ الْفَرَّاسِ. مَلَأَتْ قَلْبِي فَرْعًا وَرُعْبًا.

مَا أَتَمَّتْ قَوْلَهَا حَتَّى ارْتَعَدَ جِسْمُهَا مِنَ الْفَرْعِ. سَرَتْ الرِّعْشَةُ فِيهِ كُلُّهُ، فَاذْتَنَطَمَتْهُ (شَمَلَتْهُ) مِنْ أَعْلَى رَأْسِهِ إِلَى طَرَفِ ذَيْلِهِ الطَّوِيلِ.

## (١٢) آرَاءُ خَاطِئَةٍ

دَهَشَ «أَبُو دِرْصَانَ» مُتَضَجِّرًا. قَالَ فِي نَفْسِهِ: «يَا لَهَا مِنْ جَبَانَةٍ رِعْدِيَّةٍ (شَدِيدَةٍ الْخَوْفِ)!»

ثُمَّ لَفَّ جِسْمَهُ وَكَوَّرَهُ — قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَهُ سِنَّةٌ (عَفْوَةٌ) مِنَ النَّوْمِ — وَهُوَ يَقُولُ: «لَسْتُ أَشْكُ فِي أَنْ «أُمَّ الصَّبِيَّانِ» دَمِيمَةٌ (قَبِيحَةٌ الصُّورَةَ). إِنَّهَا لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُلْحَقَ بِي شَيْئًا مِنَ الْأَذَى.

إِنَّهَا بَلْهَاءُ نَوْمٍ (كَثِيرَةُ النَّوْمِ). لَيْسَ لَهَا مِنْ عَمَلٍ تُؤَدِّيهِ — طُولَ وَقْتِهَا — سِوَى الْجُلُوسِ عَلَى رَأْسِ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْجَوْفَاءِ (الْفَارِغَةِ)، مُحَدِّقَةً فِيهَا بَعْضَيْنِ لَا تَرَالِنِ تَطْرِفَانِ، وَلَا يَكْفُ عَنِ الرِّعْشَةِ هُدْبَاهُمَا (الشَّعْرُ الَّذِي يَنْبْتُ فِي أَطْرَافِ الْجَفْنَيْنِ).

لَسْتُ آرَتَابَ (أَشْكُ) فِي أَنْبِي أَسْرَعُ مِنْهَا عَدْوًا (جَرِيًّا) وَأَوْفَرُ (أَكْثَرُ) نَشَاطًا. هَلْ فِي قُدْرَةِ هَذِهِ الْعَجُوزِ الْمَكْسَالِ (الشَّدِيدَةِ الْكَسَلِ) أَنْ تَسْقِنِي؟ كَلَّا، مَا أَظُنُّ ذَاكَ.

مَا أَحْسَبُ هَذِهِ الْهَرْمَةَ (الْكَبِيرَةَ السِّنِّ) إِلَّا عَاجِزَةً عَنِ الْحَرَكَةِ، بَلْهُ الْعُدْوِ (فَضْلًا عَنِ السَّيْرِ السَّرِيعِ وَالْجَرِيِّ)!»

### (١٣) فِي عَالَمِ الْأَحْلَامِ

أَسْلَمَ عَيْنِيهِ لِلْكَرَى (لِلنُّومِ). رَأَى — فِي مَنَامِهِ — حُلْمًا بَهِيجًا، لَمْ يَرَ أَجْمَلَ مِنْهُ طَوَالَ حَيَاتِهِ: وَجَدَ نَفْسَهُ فِي مَخْرَنٍ حَافِلٍ بِأَشْهَى الْأَطْعِمَةِ. رَأَى أَمَامَهُ أَكْدَاسًا مِنَ الشَّمْعِ وَالْجُبْنِ، وَهُوَ يَتَأَنَّى فِي الْمَضْغِ، وَيَنْدَوِّقُ مِنْ هَذَا الطَّعَامِ مَا لَدَّ وَطَابَ.

كَانَ بَابُ الْحُجْرَةِ مُغْلَقًا.

لَمْ تَسْتَطِعْ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» أَنْ تَنْفُذَ إِلَى «أَبِي دِرْصَانَ».

لَمْ تَقْدِرْ عَلَى تَنْغِيصِ زَايِدِ الشَّهِيِّ، وَمَأْكَلِهِ الْهَنِيِّ.

رَأَى — فِيمَا رَأَى — أَنَّ «أُمَّ الصَّبِيَّانِ» وَقَفَتْ خَارِجَ النَّافِذَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي دَخَلَ مِنْهَا.

حَاوَلَتْ الدُّحُولَ فَلَمْ تَسْتَطِعْ لِصَخَامَةِ جِسْمِهَا: وَقَفَتْ مُنَالِمَةً حَسْرَى (مُنَوَّجَعَةً مُتَحَسِّرَةً)، تُحَاوِلُ أَنْ تَشْرِكُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ زَايِدِهِ، دُونَ أَنْ تَظْفَرَ مِنْهُ بِطَائِلٍ (بِفَائِدَةٍ).

### (١٤) حُلْمُ الْجَائِعِ

رَأَاهَا تَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ ضَارِعَةً أَنْ يُخْرِجَ لَهَا — مِنَ النَّافِذَةِ — وَلَوْ قَطْعَةً صَغِيرَةً مِنَ الْجُبْنِ. لَكِنَّ الْجُرْدَ لَمْ يُجِبْ لَهَا شَفَاعَةً وَلَا رَجَاءً. أَصْرَ عَلَى رَفْضِ مَا تَطْلُبُهُ فِي عِنَادٍ وَشِمَاتَةٍ.



مَا زَالَ الْجُرْدُ يُوَاصِلُ الْأَكْلَ مُتَأَنِّيًا (بَطِيئًا)، وَلَا يَكْفُ عَنِ الطَّعَامِ إِلَّا لِحَظَاتٍ يَسِيرَةً،  
يَتَفَكَّهُ فِي خِلَالِهَا بِمَدَاعِبَةِ «أُمِّ الصَّبِيَّانِ» وَالسُّخْرِيَّةِ مِنْهَا.  
كَانَ يَرَاهَا - فِي مَنَامِهِ - وَهِيَ تُلْحُحُ فِي الدُّخُولِ مِنَ النَّافِذَةِ الضَّيِّقَةِ فَلَا تَسْتَطِيعُ؛  
فَتَتَمَثَّلُ لَهُ عَبَاوَتُهَا، وَيَتَحَيَّلُ أَنَّهَا بِلْهَاءٍ، حَقُّ بِلْهَاءٍ.

### (١٥) فِي عَالَمِ الْيَقِظَةِ

اسْتَعْرَبَ (زَادَ فِي الضَّحِكِ وَأَكْثَرَ مِنْهُ). تَمَادَى فِي فَرَحِهِ وَابْتِهَاجِهِ بِمَا ظَفَرَ بِهِ مِنْ لَدَائِدِ  
الْأَطْعَمَةِ، حَتَّى أَفَاقَ مِنْ نَوْمِهِ.  
انْقَضَى حُلْمُهُ، وَاسْتَحْفَى - عَنِ نَاطِرِهِ - الْمَخْزَنَ الْحَافِلُ بِمَا يَحْوِيهِ مِنْ جُبْنِ  
شَهِيٍّ وَعَسَلٍ سَائِغٍ وَشَمْعٍ لَذِيذٍ!

وَاحْسَرَتَا عَلَيْهِ! كَانَ مَا رَأَهُ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ (أَحْلَاطَهَا).

تَأَوَّهَ مَحْزُونًا وَقَالَ: «يَا لَهُ حُلْمًا رَائِعًا بَهِيَجًا!»

أَطْبَقَ عَيْنَيْهِ ثَانِيَةً. حَاوَلَ أَنْ يَسْتَعِيدَ الْحُلْمَ الْجَمِيلَ مَرَّةً أُخْرَى. لَكِنْ كَيْفَ يَتَسَنَّى

لِلْحَالِمِ أَنْ يَسْتَعِيدَ — بَعْدَ الْبِقْظَةِ — مَا كَانَ يَسْتَمْتِعُ بِهِ مِنْ جَمِيلِ الْأَحْلَامِ؟

## (١٦) غُرُورُ الْحَمَاقَةِ

مَا لَبِثَ «أَبُو دِرْصَانَ» أَنْ اسْتَسَلَّمَ لِلضَّحِكِ مَرَّةً أُخْرَى.

تَمَلَّكَتُهُ الْبُهْجَةُ مِمَّا ظَفِرَ بِهِ فِي نَوْمِهِ مِنَ السُّحْرِيَةِ بِأَمِّ الصَّبِيَّانِ، وَالضَّحِكِ مِنْ

بَلَاهَتِهَا!

إِنَّهُ لِعَارِقٌ فِي هَذِهِ الذُّكْرِيَّاتِ السَّارَّةِ، إِذْ دَوَّتْ (ارْتَفَعَتْ) — فِي الْفَضَاءِ — صِيحَاتُ

«أُمِّ الصَّبِيَّانِ» وَهِيَ تَنْعَبُ (تَنْعُقُ) بِأَعْلَى صَوْتِهَا الْقَبِيحِ. مَا إِنْ سَمِعَ نَعِيْبَهَا (نَعِيْقَهَا)

حَتَّى اسْتَوَى عَلَيْهِ الضَّحِكُ مِمَّا سَمِعَ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ فَرَحَانَ مَسْرُورًا: «لَبِثَ شِعْرِي (لَبِنِّي

أَشْعُرٌ وَأَعْلَمُ)! هَلْ تَعْرِفُ هَذِهِ الْعَجُوزُ الْبُلْهَاءُ: أَيُّ صَوْتٍ مُنْكَرٍ سَخِيفٍ يَنْبِعُثُ مِنْ فِيهَا

(فَمَهَا)؟

أَلَا لَبِثَهَا تَعَلَّمَ كَمْ يُسَلِّبُنِي هَذَا السُّخْفُ مِنْهَا وَالْهَرَاءُ! لَعَلَّ مِنْ الْبِرِّ بِهَا، وَالْعَطْفُ

عَلَيْهَا، أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْهَا (أَخْبَرَهَا) بِهَذِهِ النَّصِيحَةِ الْغَالِيَةِ، وَأَنْ أُبَيِّنَ لَهَا حَقِيقَةَ أَمْرِهَا؛ حَتَّى

يَتَأَكَّدَ لَهَا أَنَّ الْكَائِنَاتِ كُلَّهَا تُجْمَعُ عَلَى اسْتِهْجَانِهَا (كَرَاهِيَّتِهَا) وَاسْتِنْكَارِ صَوْتِهَا.

يَا صِدْقٌ مِنْ سَمَاهَا: غَرَابَ اللَّيْلِ!

## (١٧) فِي خَارِجِ الْجُرِّ

أَطَّلَ «أَبُو دِرْصَانَ» مِنْ جُحْرِهِ. أَبْصَرَ الْبُدْرَ لَا يِرَالُ يَتَأَلَّقُ (يُضِيءُ) فِي السَّمَاءِ، وَيَنْفُذُ

نُورَهُ مِنْ خِلَالِ السُّحْبِ الْمَتْرَاكِمَةِ (الْمُتَجَمِّعَةِ) وَهِيَ تُسْرِعُ فِي جَرِّيْهَا، فَلَا تَكَادُ تَسْتَقِرُّ

فِي الْفَضَاءِ. لَمْ يَرَ الْجُرْدَ أَثْرًا لِأَمِّ الصَّبِيَّانِ. ابْتَعَدَ عَنِ جُحْرِهِ قَلِيلًا. حَدَقَ بَبْصَرِهِ فِي الْجَوْ.

لَمْ يُبْصِرْ شَيْئًا يَخْشَاهُ.

كَانَتْ أُمُّهُ قَدْ خَرَجَتْ — فِي أَثْنَاءِ نَوْمِهِ — لِبَعْضِ شَأْنِهَا.



لَمْ يَجِدْ مَنْ يَرُدُّعُهُ وَيَكْفُهُ (يَزْجُرُهُ وَيَمْنَعُهُ) عَنِ الْمُخَاطَرَةِ.  
فَرِحَ «أَبُو دِرْصَانَ» بِمَا ظَفِرَ بِهِ مِنَ الْحَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ خَرَجَتْ أُمُّهُ مِنَ الْجَحْرِ وَابْتَهَجَ.  
إِنَّهُ سَيُحَقِّقُ مَا يَهْوَاهُ، دُونَ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهَا مَا يَكْرَهُهُ — مِنَ اللُّومِ — وَيَخْشَاهُ.

### (١٨) مُغَامَرَةٌ حَمَقَاءُ

اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الرَّهْوُ، وَتَمَادَى بِهِ الْعُرُورُ، حَتَّى أَنْسِيَاهُ حَقِيقَةَ أَمْرِهِ، وَخَيَّلَا إِلَيْهِ أَنْ يَصْعَدَ  
إِلَى بَيْتِ «أُمِّ الصَّبِيَّانِ»، لِإِنَّمَا فِيهِ، وَيُعْلِنَ لَهَا سُخْرِيَّتَهُ بِهَا وَجْهًا لَوْجِهِ.  
أَصْرَّ عَلَى تَنْفِيزِ مُخَاطَرَتِهِ. تَلَفَّتْ حَوْلَهُ. لَمْ يَجِدْ لِلْبُومَةِ الْعُجُوزِ أَثْرًا. قَالَ مُتَوَعِّدًا،  
وَهُوَ يَكَادُ يَنْمِيزُ (يَنْقَطِعُ) مِنَ الْعَيْظِ: «أَيْنَ أَنْتِ، يَا «عُرَابَ اللَّيْلِ»؟ أَيْنَ أَنْتِ، يَا «أُمِّ  
الصَّبِيَّانِ»؟ أَلَا لَيْتَهَا تَجِيءُ إِلَيَّ! أَمَا لَوْ جَاءَتْ وَوَقَعَتْ عَلَيْهَا عَيْنَايَ لَقُلْتُ لَهَا: أَيَّتُهَا الْهَرِمَةُ  
الْعُجُوزُ....»

### (١٩) عَاقِبَةُ الطَّيِّشِ

لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَاذَا كَانَ يُرِيدُ «أَبُو دِرْصَانَ» أَنْ يَقُولَهُ لِلْبُومَةِ: «أُمِّ الصَّبِيَّانِ»؛ لِأَنَّهُ لَمْ  
يَنْطِقْ بِهِ، وَلَمْ يَتِمَّ جُمْلَتُهُ إِلَى الْآنِ.  
أَتَعْرِفُونَ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ مَا حَدَرَتْهُ أُمُّهُ إِيَّاهُ قَدْ وَقَعَ: انْقَضَّ (سَقَطَ) عَلَيْهِ فَجَاءَتْ جَنَاحَانِ  
هَائِلَانِ، خَيَّلَا إِلَيْهِ أَنَّ جَبَلَيْنِ هَوِيَا عَلَى جِسْمِهِ الضَّعِيفِ.  
أَحْسَّ كَأَنَّ عَاصِفَةً جَارِفَةً اكْتَسَحَتْهُ فِي طَرِيقِهَا، وَسَهَمًا مَارِقًا (نَافِذًا) شَكَّهُ فَانْتَضَمَهُ  
(شَمَلَهُ) فِي مِثْلِ لَمَحَّةِ الْبُرْقِ الْخَاطِفَةِ.  
أَنْشَبَتْ الْعُجُوزُ الْفَاسِيَةَ مَخَالِبَهَا الصُّلْبَةَ فِي جِسْمِهِ الْعُضِّ؛ فَلَقِيَ مَصْرَعَهُ. كَانَتْ «أُمُّ  
رَاشِدٍ» بَعِيدَةً عَنْ وِلْدَانِهَا، فَلَمْ تَسْمَعْ صَرَخَاتِهِ الْحَزِينَةَ.  
لَمْ يَكُنْ يَدُورُ بِخَلْدِهَا (لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهَا) هَذِهِ الْحَاتِمَةُ الرَّاعِبَةُ الَّتِي انْتَهَتْ بِهَا حَيَاةُ  
وِلْدَانِهَا الطَّيِّشِ الْمَعْرُورِ.

(٢٠) هَلْ عَلِمَ الْبَدْرُ؟

عَادَتْ «أُمُّ الصَّبِيَّانِ» بِفَرِيستَهَا إِلَى عَشَّهَا، حَيْثُ يَأْوِي صَبِيئُهَا الثَّلَاثَةُ. ظَلَّ الْبَدْرُ يُرْسِلُ إِلَى الْكُونِ أَشْعَتَهُ الْمُتَالِقَةَ، وَيَشِيْعُ ابْتِسَامَتَهُ الْعَذْبَةَ مِنْ خِلَالِ غُصُونِ الشَّجَرِ.

لَسْتُ أَدْرِي: هَلْ عَلِمَ الْبَدْرُ الْمُنِيرُ شَيْئًا مِنْ تَفَاصِيلِ هَذِهِ الْمَأْسَاةِ؟ هَلْ شَهِدَ مَصْرَعِ «أَبِي دِرْصَانَ»؟ هَلْ أَصْعَى إِلَى أَنَاتِهِ الْحَزِينَةِ وَهُوَ يُحْتَضِرُ؟ مَا أَظُنُّ هَذَا، أَيُّهَا الْأَهْلُ الْكِرَامُ!

إِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ صَاحِبَنَا الْبَدْرَ الْمُنِيرَ، لَوْ عَلِمَ بِمَصْرَعِ «أَبِي دِرْصَانَ»، دُونَ أَنْ يَحْزَنَ لَهُ وَيَكْفُفَ عَنِ ابْتِسَامَتِهِ الَّتِي لَا تُفَارِقُ صَفْحَتَهُ، لَكَانَ قَاسِي الْقَلْبِ.

لَكِنَّ الْقَمَرَ — كَمَا تَعْلَمُونَ — بَعِيدٌ عَنِ عَالَمِنَا الْأَرْضِيِّ.

لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ يَنْسَى لَهُ — وَهُوَ بَعِيدٌ عَنَّا — أَنْ يَعْلَمَ حَقِيقَةَ هَذِهِ الْمَأْسَاةِ؟ تَرَى هَلْ يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنْكُمْ غَيْرَ هَذَا؟

(٢١) حُطْبَةُ «الْخَرْنِقِ»

قَامَ أَرْنَبٌ ذَكِيٌّ فَنِيَّ (صَغِيرٌ قَوِيٌّ) اسْمُهُ «الْخَرْنِقُ».

حَطَبَ الْحَاضِرِينَ قَائِلًا: «لَعَلَّ الْبَدْرَ كَانَ مَشْغُولًا — كَمَا عَهْدُنَاهُ دَائِمًا — بِإِنَارَةِ الطَّرِيقِ لِلْسَّارِينَ (الَّذِينَ يَمْشُونَ بِاللَّيْلِ)؛ لِيَهْدِيَهُمْ سَوَاءَ السَّبِيلِ، لِلْوُصُولِ إِلَى غَايَاتِهِمُ الَّتِي يَرْجُونَهَا.

مَا أَظُنُّ الْبَدْرَ يَلْتَفِتُ إِلَى مَنْ يَعْصِي كَلَامَ أُمِّهِ، وَيَسْتَهِينُ بِنِصَائِحِهَا الْعَالِيَةِ. كَلَّا. مَا أَحْسَبُهُ يَعْنَى بِمَنْ لَا يَنْتَفِعُ بِتَجَارِبِ غَيْرِهِ مِنْ كِرَامِ النَّاصِحِينَ.

(٢٢) تَمَنُّ الْعِنَادِ

لَوْ عَرَفَ «أَبُو دِرْصَانَ» كَيْفَ يَسْتَفِيدُ مِنَ النُّورِ، لَتَجَنَّبَ الْوُقُوعَ فِي الْهَآوِيَةِ، وَنَجَا مِنَ التَّعَرُّضِ لِلتَّهْلُكَةِ.

## زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

مَا كَانَ لِلْبَدْرِ أَنْ يُضِيعَ وَقْتَهُ التَّمِينِ فِي الْبُكَاءِ عَلَى مِثْلِ «أَبِي دِرْصَانَ» الَّذِي لَمْ يَرْحَمْ  
نَفْسَهُ، وَأَبَى إِلَّا أَنْ يُضِيعَ حَيَاتَهُ بِغُرُورِهِ وَجَهْلِهِ، وَتَمَادِيهِ فِي عِنَادِهِ، وَاسْتِهَانَتِهِ بِخَطَرِ  
عَدُوِّهِ الْبَاطِشِ الْغَلَابِ.»

## الفصل الثالث

### (١) رائد الحقل

لَمَّا أْتَمَّ «الْحَزْنُ» كَلِمَتَهُ، وَقَفَ عَمُّكَ الذَّكِيُّ «رَائِدُ الْحَقْلِ» الَّذِي طَالَمَا كَشَفَ لَنَا لَذَائِدَ مَنْ  
تَمَارِ الْحُقُولِ الْقَاصِيَةِ وَالِدَانِيَّةِ.  
رَوَى لَنَا قِصَّةً مُعْجِبَةً فَيَاضَةً بِالْمَوْعِظَةِ وَالْحِكْمَةِ.  
مَا أَذْكَرُ أَنْبِي سَمِعْتُ — فِي حَيَاتِي — قِصَّةً أَجْمَلَ مِنْهَا.  
لَوْ سَمِعَهَا وَلَدِي «أَبُو نَبْهَانَ» لَكَفَّ عَنْ عِنَادِهِ وَلَجَّاجَتِهِ، وَلَمْ يَتِمَّادَ فِي ضَلَالِهِ  
وَعَوَايِيَتِهِ.  
لَكِنَّ أَمْرَ اللَّهِ نَافِذٌ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ.

### (٢) الطامع والطامع

قَالَ «رَائِدُ الْحَقْلِ»:

#### أَيُّهَا الْأَهْلُ الْكِرَامُ:

عَاشَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، أَرْبَعَانِ فُنَيَّانِ (صَغِيرَانِ قَوِيَّانِ)، اسْمُ أَحَدِهِمَا: «الْقَانِعُ»،  
وَلَقَبُهُ: «الطَّامِعُ» (اللَّقَبُ هُوَ الْكَلِمَةُ الَّتِي يُنَادِيهِ بِهَا عَارِفُوهُ، لِأَنَّهَا تَصِفُهُ).  
وَاسْمُ الْآخَرِ: «الْمَانِعُ»، وَلَقَبُهُ: «الطَّامِعُ».

كَانَ الْأَوَّلُ يُطِيعُ أُمَّهُ وَيَسْتَمِعُ إِلَى نُصْحِهَا وَلَا يُخَالِفُ لَهَا قَوْلًا.

كَانَ يَقْنَعُ مِنَ الرَّادِ (الطَّعَامِ) بِالْقَلِيلِ. لَمْ يَكُنْ جَمِيلَ الشَّكْلِ؛ لَكِنَّهُ طَيِّبُ الْقَلْبِ. أَمَّا الْأَخْرُ فَكَانَ — عَلَى الْعَكْسِ مِنْ أَخِيهِ — لَا يُطِيعُ لِأُمِّهِ نَصْحًا، وَلَا يَقْبَلُ لَهَا رَأْيًا، كَمَا كَانَ شَدِيدَ الْحَرِصِ وَالطَّمَعِ، لَا يَقْنَعُ بِقَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ.

### (٣) نَصِيحَةُ الْأُمِّ

وَذَا صَبَاحٍ فَرَعَ الرَّادُ مِنْ جُحْرِ أُمَّهَمَا، فَقَالَتْ لَوْلَدَيْهَا: «إِنِّي ذَاهِبَةٌ لِإِحْضَارِ الطَّعَامِ لَكُمْ. لَنْ أَغِيبَ عَنْكُمْ إِلَّا قَلِيلًا. نَظَّمْتُ لَكُمْ — بَعْدَ عَوْدَتِي — نَزْمَةً جَمِيلَةً. لَا تَتَّبَعِدَا كَثِيرًا عَنْ جُحْرِكُمَا حَتَّى لَا يُصِيبَكُمَا ضَرَرٌ.»

فِي أَثْنَاءِ غِيَابِهَا لَعِبًا بِالْقُرْبِ مِنْ مَكْوَهَمَا (دَارِهِمَا) وَقَتًا قَصِيرًا. لَكِنَّ «الطَّامِعَ» أَصَرَ عَلَى الْإِبْتِعَادِ عَنِ الدَّارِ.

حَاوَلَ «الطَّامِعُ» أَنْ يُذَكِّرَهُ نَصِيحَةَ أُمِّهِ، وَيُحَدِّثَهُ الْإِنْفِرَادَ بِرَأْيِهِ. قَالَ لَهُ «الطَّامِعُ»: «لَنْ نَذْهَبَ بَعِيدًا. تَعَالَ مَعِي. لَنْ نَخَالَفَ نَصْحَ أُمَّنَا أَبَدًا!»

### (٤) مِشْنَةُ الْحَسِّ

ظَلَّ يُحَادِثُ أَخَاهُ وَيَقْصُّ عَلَيْهِ أَجْمَلَ الْقِصَصِ — وَهُمَا سَائِرَانِ — حَتَّى ابْتَعَدَا عَنْ مَكْوَهَمَا مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرَانِ.

تَنَبَّهَ «الطَّامِعُ» إِلَى مُخَاطَرَةِ أَخِيهِ. قَالَ لَهُ خَائِفًا مُفْرَعًا: «بَعُدْنَا عَنِ الْمَكْوِ (الْبَيْتِ)؛ فَلْنُسْرِعْ بِالْعُودَةِ حَتَّى لَا تَفْرَعَ أُمِّي، إِذَا عَادَتْ إِلَى مَكُونَا (دَارِنَا) فَلَمْ تَجِدْنَا.»



قَالَ «الطَّامِعُ»: «كَلَّا. لَا تَخَفْ. سَنَبْلُغُ الْمَكْوَلَ قَبْلَ أَنْ تَعُودَ إِلَيْهِ أَمَّا بِرَمَنٍ طَوِيلٍ. أَلَا تَرَى مَكُونًا (جُحْرِنَا) غَيْرَ بَعِيدٍ مِنَّا؟ لِمَاذَا تَجَزَعُ (تَخَافُ)؟ أَمَامَنَا زَمَنٌ طَوِيلٌ نَقْضِيهِ فِي اللَّعِبِ وَالسُّرُورِ. انظُرْ إِلَى ذَلِكَ الْخَسِّ. مَا أَجْمَلُهُ وَأَشْهَاهُ! إِنِّي لَأَدُوبُ شَوْقًا إِلَى تَدْوُقِهِ وَأَكْلِهِ.»

كَانَ الْخَسُّ فِي مَشْنَةِ تَرْكَهَا صَاحِبِهَا فِي الطَّرِيقِ، رَيْثَمَا يَبِيعُ شَيْئًا مِنْهُ لِطَبَّاحِ بَيْتِ قَرِيبٍ.

أَسْرَعَ «الطَّامِعُ». أَقْبَلَ عَلَى أَكْلِ الْخَسِّ فِي شَرِّهِ عَجِيبٍ.

(٥) جَزَاءُ عَادِلٍ

صَرَخَ فِيهِ «الْقَانِعُ»: «مَاذَا تَفْعَلُ؟ لَوْ رَأَيْتَكَ أُمَّكَ لَقَالَتْ عَنْكَ: سَارِقٌ!»  
 اِلْتَفَتَ إِلَيْهِ «الطَّامِعُ». كَانَ قَدْ أَتَى عَلَى الْحَسَةِ الْأُولَى (أَتَمَّ أَكْلَهَا)، وَأَقْبَلَ عَلَى النِّهَامِ  
 الْحَسَةِ الثَّانِيَةِ. قَالَ: «أُمِّي لَمْ تُحْضِرْ لَنَا حَسًّا شَهِيًّا كَهَذَا مِنْ قَبْلُ؟»  
 مَا إِنَّ أُمَّ «الطَّامِعِ» قَوْلَتْهُ (جُمَلَتْهُ)، حَتَّى طَوَّحَتْ بِجِسْمِهِ رَفْسَةً عَنيفَةً، دَحْرَجَتْهُ  
 كَالْكُرَةِ.



دَوَّتْ فِي أُذُنِهِ صَيْحَةً غَضَبٍ، تَقُولُ مُتَوَعِّدَةً (مُنْذِرَةً مُخَوِّفَةً): «أَيُّهَا الْأَرْنَبُ اللَّصُّ، مَا  
 أَجْدَرَكَ بِأَنْ تَذْبَحَ، وَتُسَلِّحَ، وَيُطْبَخَ لِحْمُكَ!»

## (٦) هَرَبُ الْأَخْوَيْنِ

لَعَلَّكُمْ عَرَفْتُمْ مَاذَا حَدَّثَ؟

نَعَمْ! خَرَجَ صَاحِبُ الْخَسِّ مِنَ الْبَيْتِ.

أَبْصَرَ هَذَا الشَّيْءَ (الْحَرِيصَ عَلَى الْإِكْتِنَارِ مِنَ الْأَكْلِ) وَهُوَ يَسْرِقُ حَسَّهُ. غَضِبَ وَأَسْرَعَ  
يُهُمْ بِمَعَاقِبَتِهِ.

هَرَبَ الْأَرْزَبَانَ. ظَلًّا يَعْدُونَ (يَجْرِيَانِ) وَلَا يَكْفَانِ عَنِ الْوَثْبِ وَالْقَفْزِ، مَا وَسَعَهُمَا  
جُهِدَاهُمَا.

لَمْ يَصِبِ «الطَّامِعُ» بِضَرَرٍ كَبِيرٍ. لَكِنَّ الْخَوْفَ كَادَ يَقْتُلُهُ.

سَمِعَ الْأَرْزَبَانَ، وَهَمَّا يَهْرَبَانِ، صَاحِبَ الْخَسِّ يَتَوَعَّدُ السَّارِقَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ، قَائِلًا:

«أَيُّهَا اللَّصُّ، مَا أَجْدَرَكَ بِالذَّبِّحِ وَالسَّلْخِ وَالطَّبَّخِ!»

## (٧) نَبَاتٌ غَرِيبٌ

مَا زَالَ الْأَرْزَبَانُ يَفْفِرَانِ حَتَّى انْتَهَيَا إِلَى حَقْلٍ مُخَصَّرِ النَّبَاتِ. كَانَ الْوَثْبُ قَدْ جَهَدَهُمَا  
(أَتَعَبَهُمَا) حَتَّى ضَاقَتْ أَنْفَاسُهُمَا، فَكَادَا يَخْتَنِقَانِ.

قَالَ «الطَّامِعُ» وَهُوَ يَرْتَعِدُ خَوْفًا: «تَرَى أَيْنَ بَيْنُنَا الْآنَ؟»

أَجَابَهُ «الطَّامِعُ»: «لَعَلَّهُ قَرِيبٌ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ. سَنَبْلُغُهُ تَوًّا (فِي الْحَالِ). لَا تَنْزَعِجْ.

لِنَسْتَرِحَ هُنَا قَلِيلًا حَتَّى يَخْفَ أَلَمُ الرَّفْسَةِ، وَيَذْهَبَ أَنْزُهَا. أَنْظُرْ. مَا أَبْهَجَ هَذَا الْحَقْلُ!»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «صَدَقْتَ. مَا أَعْرَبَ نَبَاتَهُ. مَا أَذْكَرَ أَنْبِي رَأَيْتُ نَبَاتًا مِثْلَهُ طُولَ

حَيَاتِي!»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «أَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ. أَمَّا أَنَا فَخَبِيرٌ بِهِ. إِنَّهُ نَبَاتُ الْبَقْدُونِسِ. أَمَا لَوْ دُفَّتْ

هَذَا النَّبَاتِ اللَّذِيذِ لَشَكَّرْتُ لِي أَنْ هَدَيْتُكَ إِلَيْهِ. تَعَالَ فَكُلْ مِنْهُ. أَنَا لَمْ أَرِ — فِيمَا رَأَيْتُ —

مِثْلَهُ فِي الْأَزْدِهَارِ وَالنُّضْجِ وَالنَّمَاءِ. تَعَالَ مَعِي نَنْدَوِّقْ مِنْهُ شَيْئًا.»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «كَلَّا. لَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ. لَسْتُ وَاثِقًا — يَا أَخِي — أَنَّهُ نَبَاتُ

الْبَقْدُونِسِ الَّذِي تَنْظُرُ. مِنَ الْخَطِإِ أَنْ نَأْكُلَ طَعَامًا لَمْ تَأْذَنْ لَنَا أُمْنًا فِي أَكْلِهِ.»

ثُمَّ هَرَّ أَذُنَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ مَحْزُونًا، وَقَالَ: «خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَعُودَ إِلَى الْبَيْتِ.»



قَالَ «الطَّامِعُ»: «الْحَقُّ مَا تَقُولُ. لَكِنْ يُؤَسِّفُنِي أَنْ يَفُوتَكَ هَذَا الطَّعَامُ السَّائِغُ الشَّهِيَّ (الطَّيِّبُ الْهَنِيَّ). أَه لَوْ تَذَوَّقْتَهُ مَعِي!»

### (٨) مَرَضُ «الطَّامِعِ»

بَلَغَا الدَّارَ. رَأَيَا أُمَّهُمَا قَادِمَةً عَلَيْهِمَا.

قَالَ «الطَّامِعُ»: «أَقْبَلْتُ أُمَّنَا. هَلُمَّ (أَقْبِلْ) لِتَحِيَّتِهَا.»

أَجَابَهُ «الطَّامِعُ» بِصَوْتٍ خَافِتٍ: «أَذْهَبَ أَنْتَ. إِنِّي مُتَعَبٌ قَلِيلًا. مَا أَحْوَجَنِي إِلَى

الرَّاحَةِ.»

قَالَ «الطَّامِعُ»: «إِنَّ الْمَرَضَ لَيَبْدُو وَاضِحًا عَلَى سِيَمَاكَ (مَنْظَرِكَ)، هَلْ تَشْعُرُ بِهِ؟»

قَالَ لَهُ أَخُوهُ مُنْزَعَجًا: «كَلَّا، لَسْتُ مَرِيضًا. إِنَّ الْأَرْنَبَ قَدْ يَتَعَبُ، دُونَ أَنْ يَكُونَ

مَرِيضًا! أَلَا يُمَكِّنُ ذَلِكَ، يَا أَحِي؟ لَا تَقُلْ لِأُمِّي: إِنِّي مَرِيضٌ!»

لَمْ يُجِبْهُ «الطَّامِعُ» بِشَيْءٍ، بَلْ ذَهَبَ إِلَى لِقَاءِ أُمِّهِ. بَقِيَ أَخُوهُ يَتَلَوَّى مُتَدَحِّرِجًا مِنْ

شِدَّةِ الْأَلَمِ فِي رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْجُحْرِ.

تَعَاوَنَ «الطَّامِعُ» مَعَ أُمِّهِ فِي حَلِّ حُرْمَةِ مَنْ لَذِيذِ الطَّعَامِ أَحْضَرَتْهَا الْأُمُّ لِيَنْعَمَ بِأَكْلِهَا

وَلَدَاهَا الْعَزِيزَانِ.

أَقْبَلَ «الطَّامِعُ» عَلَى هَذَا الطَّعَامِ الَّذِي يُحِبُّهُ حُبًّا جَمًّا (كَثِيرًا).

أَكَلَ مِنْهُ نَصِيبَهُ شَاكِرًا مَسْرُورًا.

حَاوَلَ «الطَّامِعُ» أَنْ يَأْكُلَ. لَمْ يَسْتَطِعْ. أَحَسَّ الْمَرَضُ: سَخَنَ حَتَّى كَادَ رَأْسُهُ يَحْتَرِقُ.

انْتَضَمَ الْأَلَمُ جِسْمَهُ (شَمَلَهُ) كُلَّهُ. فَاضَ بِهِ الْأَلَمُ. لَمْ يُطِقْ احْتِمَالَهُ بَعْدَ هَذَا.

إِزْتَمَى عَلَى الْأَرْضِ مُتَقَلِّبًا صَارِحًا مِنْ قَسْوَةِ الْمَرَضِ.

### (٩) النَّبَاتُ السَّامُ

قَالَتْ أُمُّهُ مَحْزُونَةً مَشْدُوهَةً (مَدْهُوشَةً): «أَيُّ حَادِثٍ أَصَابَكَ، يَا وَلَدِي؟»

أَجَابَهَا: «إِنِّي أَشْعُرُ بِأَلَمٍ هُنَا — يَا أُمَاهُ — وَهُنَا!.. إِنِّي أَحْسَسُ كَأَنَّ وَحْشًا ضَارِيًا

(مُفْتَرِسًا) يَعْضُنِي وَيَمْرِقُ أَحْشَائِي! آه. آه. آه.»

قَالَتْ لَهُ: «مَاذَا صَنَعْتَ فِي أَثْنَاءِ غِيَابِي؟ هَلْ أَكَلْتَ شَيْئًا! خَبِّرْنِي بِجَلِيَّةِ أَمْرِكَ  
(بِحَقِيقَتِهِ)».

إِصْفَرَ وَجْهُ «الطَّائِعِ». قَالَ: «ذَهَبْنَا إِلَى حَقْلِ الْبُقْدُونِ».

صَاحَ «الطَّامِعُ»: «إِنَّ «الطَّائِعَ» لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ شَيْئًا، يَا أُمَاهُ! كَلَّا لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ قَطُّ.  
أَمَّا أَنَا فَأَكَلْتُ كَثِيرًا! آه! أَيُّ أَلَمٍ أُحْسُ! الْعُوْثُ يَا أُمَاهُ. أَغِيْثْنِي! الْعَوْنُ يَا أُمَاهُ، أَغِيْثْنِي!»

قَالَتْ أُمُّهُ: «نَبَاتُ الْبُقْدُونِ! أَوَاتِقُ أَنْتَ مِنْ أَنَّهُ نَبَاتُ الْبُقْدُونِ؟»

قَالَ «الطَّائِعُ»: «مَا أَظُنُّ ذَلِكَ، يَا أُمِّي. كَانَ قَرِيبَ الشَّيْبِ مِنْهُ. قُلْتُ لِأَخِي: إِنَّهُ نَبَاتُ

آخَرَ. سَمِمْتُ لَهُ رَائِحَةً غَيْرَ رَائِحَةِ الْبُقْدُونِ!»

صَرَخَتْ الْأُمُّ مَدْعُورَةً: «يَا لَتَعَاسَةٍ هَذَا الْفَتَى الصَّغِيرِ! أَكَلَّ نَبَاتَ الشُّوْكَرَانِ، وَهُوَ

يَحْسِبُهُ نَبَاتَ الْبُقْدُونِ! يَا لَشَفَاوَيْهِ! إِنَّهُ سَمٌّ قَاتِلٌ! رَبَّاهُ! كَيْفَ أَصْنَعُ؟ وَارْحَمْنَا هَذَا لَكَ، يَا

وَلَدَاهُ! أَسْرِعْ — يَا «طَائِعُ». اسْتَدْعِ لَهُ الطَّبِيبَ!»

## (١٠) آخِرَةُ «الطَّامِعِ»

كَادَ «الطَّامِعُ» يَغِيْبُ عَنِ الْوُجُودِ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ.

إِرْتَمَى بِلَا حِرَاكٍ فِي رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْجُحْرِ.

كَانَتْ تَنْبَعِثُ مِنْهُ — بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ — أَنَّهُ خَافَتَهُ، أَوْ حَرَكَتُهُ رِجْلًا، أَوْ خَلَجَةُ أُذُنٍ

خَفِيْقَةً.

ظَلَّتْ أُمُّهُ الْمُحْزُونَةُ وَاقِفَةً بِالْقُرْبِ مِنْهُ، تُحَاوِلُ أَنْ تُخَفِّفَ مِنْ أَلَمِهِ دُونَ جَدْوَى (بِلَا

فَائِدَةٍ)، وَتَتَرَقَّبُ حُضُورَ الطَّبِيبِ بِفَارِغِ الصَّبْرِ.



لَمْ يَسْتَطِعِ «الطَّامِعُ» أَنْ يَنْطِقَ — بَعْدَ هَذَا — إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً. قَالَ بِصَوْتٍ خَافِيٍّ مُتَأَوِّهًا، وَهُوَ يُحْتَضِرُ (حِينَ حَضَرَهُ الْمَوْتُ): «أَيُّ أَلَمٍ أَحْسُهُ؟ الْغَوْتُ يَا أُمَّهُ!»

ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ مَنِيئُهُ (مَوْتُهُ): فَهَمَدَتْ جُنَّتَهُ (أَصْبَحَتْ بِلا حَرَكَ)، وَسَكَتَتْ نَامْتُهُ (سَكَتَ صَوْتُهُ).

صَاحَتْ أُمَّهُ مُتَفَجِّعَةً: «وَاحَرَ قَلْبَاهُ! مَاتَ الطَّامِعُ!»

## الفصل الرابع

### (١) أَلَمُ الْجُوعِ

قَالَتْ «عَكْرِشَةُ» لِبِنْتِهَا «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ»: «هَذِهِ — يَا عَزِيزَتِي — هِيَ الْخُطْبُ النَّفِيسَةُ الَّتِي أَبَدَعَهَا خُطْبَاءُ الْحَفْلِ. فِيهَا — كَمَا تَرَيْنَ — نَصَائِحُ غَالِيَةٌ، يَجْدُرُ بِكُلِّ أَرْنَبٍ مُتَبَصِّرٍ أَنْ يَنْدَبَّرَهَا وَيَتَوَخَّأَهَا، وَيَعْمَلَ بِهَا وَلَا يَنْسَاهَا.»

أَطْرَقَتْ «عَكْرِشَةُ» لِحَظَّةٍ. بَدَتْ عَلَى وَجْهِهَا أَمَارَاتُ الْكَأَبَةِ (الْحُزْنِ) وَالْقَلَقِ.

سَأَلَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «فِيمَ تَفَكَّرِينَ يَا أُمَاهُ؟»

قَالَتْ: «أُحْسِنِي أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ لِأَبِيكَ وَإِخْوَتِكَ حَادِثٌ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ. الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَلْبِثِي (تَمْكُثِي) فِي مَكَانِكَ سَاعَةً حَتَّى أُخْرَجَ وَأَعُودَ. طَالَتْ غَيْبَتُهُمْ. سَأَرَى: فِي أَيِّ الْأَوْقَاتِ نَحْنُ الْآنَ؟ لَعَلَّ نُهُوضِي يُخَفِّفُ قَلِيلًا مِنْ أَوْجَاعِ سَاقِي.»

قَفَزَتْ «عَكْرِشَةُ» فِي جُهْدٍ وَعَنَاءٍ. وَصَلَتْ إِلَى حَافَةِ الْجُحْرِ. أَخْرَجَتْ أَنْفَهَا تَتَنَسَّمُ

الْهُوَاءَ.

عَادَتْ إِلَى «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ» قَائِلَةً: «إِنَّ النَّهَارَ وَشَيْكَ الطَّلُوعِ (قَرِيبُ الظُّهُورِ). مَرَّ بِنَا

الْوَقْتُ سَرِيعًا. نَحْنُ لَاهِيَانٍ بِقِصِّ الْحِكَايَاتِ. اشْتَدَّ بِي الْجُوعُ. أَصْبَحْتُ لَا أُطِيقُ الْبَقَاءَ

بِلَا طَعَامٍ. هَلْ نَحْسِينُ مِثْلَ مَا أَحْسُ مِنْ آلامِ الْجُوعِ؟»

قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «إِنَّ بِي مِثْلَ مَا بِكَ. لَكِنِّي لَمْ أَشَأَنَّ أَنْ أَسْبِقَ أُمِّي بِالْقَوْلِ فِي

هَذَا.»

قَالَتْ «عِكْرَشَةُ» وَهِيَ تُحَاوِلُ أَنْ تَطْفِرَ بِنَبَاتٍ تَقْضُمُهُ (تَكْسِرُهُ بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهَا وَتَأْكُلُهُ): «إِذَنْ فَلِنَقْضِمِ أَيَّ شَيْءٍ نَلْقَاهُ؛ لِيَطَّلَ فِي فَمِنَا، وَتَطَّلَ أَسْنَانُنَا تَلُوكُهُ زَمْنَا طَوِيلًا لِنَنْسَى آلَمَ الْجُوعِ، وَلِنَلْفِظُهُ بَعْدَ ذَلِكَ. لَعَلَّنَا نَنْظُرُ — بَعْدَ — بِمَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ.»  
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «رَأَيْتُ — أُمِسَ — بَعْضَ الْحَشَائِشِ الْجَمِيلَةِ عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ لَا تَزِيدُ عَلَى عَشْرِ قَفْزَاتٍ مِنْ جُحْرِنَا. هَلْ تَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَقْفِزِي مَعِي حَتَّى نَصِلَ إِلَيْهَا؟»

قَالَتْ «عِكْرَشَةُ»: «سَأَحَاوِلُ إِمْكَانِي، يَا عَزِيزَتِي. هَلْمِي بِنَا.»

## (٢) فِي الْغَابَةِ

نَهَضَتْ «عِكْرَشَةُ» مُتَتَاقِلَةً. وَصَلَتْ إِلَى فُوهَةِ الْجُحْرِ (فَمِهِ). وَقَفَتْ لَحْظَةً مُفَكَّرَةً مُنْصِتَةً، شَأْنُ الْأَرَانِبِ الرَّشِيدَةِ الْمُتَبَصِّرَةِ. أَخْرَجَتْ فَاهَا (فَمَهَا) قَلِيلًا، ثُمَّ أَعَادَتْهُ مِنْ فُورِهَا. صَبَرَتْ قَلِيلًا. أَخْرَجَتْ فَاهَا تَانِيَةً — بَعْدَ أَنْ اطْمَأَنَّ قَلْبُهَا — وَأَدَارَتْهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَهِيَ نُجِيلٌ بَصَرَهَا (تُدِيرُ نَظَرَهَا) فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ. وَثَقَّتْ مِنَ السَّلَامَةِ. خَرَجَتْ مِنْ جُحْرِهَا.  
سَارَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» فِي أَنْرِهَا.

قَفَزَتْ «عِكْرَشَةُ» قَفْزَاتٍ قَلِيلَةً. حَارَتْ قُورَاهَا (ضَعُفَتْ). عَجَزَتْ عَنْ مُتَابَعَةِ السَّيْرِ. وَقَفَتْ مُتَأَلِّمَةً. قَالَتْ مَحْزُونَةً لِبِنْتِهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «جَهَدَنِي الْمُرْضُ. اشْتَدَّ بِي النَّقْرُسُ (وَجَعُ الْمَفَاصِلُ). أَعْجَزَنِي عَنِ الْمَشْيِ. لَا بُدَّ لِي مِنَ الرَّاحَةِ — زَمْنَا قَلِيلًا — حَتَّى أَسْتَعِيدَ نَشَاطِي، وَأَسْتَرِدَّ قُوَّتِي عَلَى السَّيْرِ. انْهَبِي أَنْتِ. إِنِّي لَأَحِقَّةٌ بِكَ بَعْدَ قَلِيلٍ.»  
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «كَلَّا، يَا أُمِّي. لَيْسَ ثَمَّةَ مَا يُعْجِلُنَا. اسْتَرِجِي كَمَا تَشَاقِينِ. ثُمَّ سِيرِي الْهُوَيْنَى (أَمْشِي عَلَى مَهْلٍ) وَلَا تَتَّعَجَلِي.»

شَكَرَتْ «عِكْرَشَةُ» لِبِنْتِهَا حُبَّهَا وَأَدَبَهَا.  
اسْتَأْنَفْنَا السَّيْرَ (بَدَأْنَا الْمَشْيَ بَعْدَ الْوُقُوفِ). وَصَلْنَا إِلَى الْغَابَةِ.  
قَالَتْ «عِكْرَشَةُ» وَهِيَ تَقْضِمُ الْحَشَائِشَ الْيَابِسَةَ (تَكْسِرُهَا بِأَطْرَافِ أَسْنَانِهَا، وَتَأْكُلُهَا): «مَا أَلَذَّ هَذَا الْبَقْلَ وَأَشْهَاهُ!»

سَأَلَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» وَقَدِ اسْتَسَاعَتْهُ (اسْتَعَذَبَتْهُ وَاسْتَحَلَّتْ أَكْلَهُ)، وَأَقْبَلَتْ تَقْضُمُهُ

فِي ابْتِهَاجٍ وَفَرَحٍ: «مَا اسْمُ هَذَا الْبَقْلِ الشَّهِيِّ، يَا أُمَاهُ؟»

قَالَتْ «عَكْرَشَةُ»: «اسْمُهُ: الْهِنْدِبَاءُ. هُوَ — فِيمَا سَمِعْتُ مِنْ جَدِّي — خَيْرُ دَوَاءٍ يَشْفِي

الْمَعِدَةَ مِنْ أَمْرَاضِهَا وَالْأَمْعَاءِ. صَدَقَ جَدِّي. إِنِّي كُلَّمَا أَكَلْتُ هِنْدِبَاءً وَاحِدَةً مِنْ هَذَا الْهِنْدِبَاءِ

الْكَثِيرِ، شَعَرْتُ بِنَشَاطٍ عَجِيبٍ. يُحَيِّلُ إِلَيَّ أَنْتَنِي رَجَعْتُ إِلَى شَبَابِي الْآنَ.»



ابْتَهَجَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ». اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الْفَرَحُ. قَفَزَتْ حَوْلَ أُمِّهَا مِنْ فَرَطِ السُّرُورِ

وَهِيَ تَقُولُ: «يَا لِسَعَادَتِي وَهَنَائِي! كُونِي عَلَى ثِقَةٍ أَنَّكَ عَلَى وَشِكِ الشِّفَاءِ (أَنَّ الْبُرَّءَ قَرِيبٌ

مِنْكَ، سَرِيعٌ إِلَيْكَ)، مَا دُمْتُ تَشْعُرِينَ بِلَذَّةِ الطَّعَامِ، وَتُقَلِّبِينَ عَلَيْهِ بِمِثْلِ هَذِهِ الشَّهِيَّةِ

الْعَجِيبَةِ.»

### (٣) «ابْنُ وَازِعٍ»

لَكِنَّ فَرَحَهَا لَمْ يَطُلْ. حَدَّثَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسْبَانِ.

كَفَّتْ «عَكْرَشَةُ» عَنِ الطَّعَامِ. وَقَفَّتْ عَلَى قَدَمَيْهَا. رَفَعَتْ أُذُنَيْهَا الطَّوِيلَتَيْنِ. صَرَبَتْ

الْأَرْضَ بِرِجْلَيْهَا بَعْتَةً.

## زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

اسْتَوَلَى عَلَيْهَا الرُّعْبُ. صَاحَتْ مَدْعُورَةً: «انْجِي بِنَفْسِكَ، يَا صَغِيرَتِي. آه ... أَسْرِعِي  
بِالْفَرَارِ ... إِنَّهُ «ابْنُ وَاِزِعِ» بَعَيْنِهِ.. رَبَّاهُ ... هَلَكْنَا جَمِيعًا!»  
لَمْ تَكُنْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» قَدْ رَأَتْ — فِي حَيَاتِهَا — كَلْبًا قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ. أَيْقَنْتُ أَنَّ  
ذَلِكَ — بِلَا شَكٍّ — عَدُوٌّ خَطِرٌ شَرِّيرٌ. لَوْلَا ذَلِكَ لَمَا فَزَعَتْ أُمُّهَا لِرُؤْيَيْتِهِ.  
صَاحَتْ «عَكَرِشَةُ» مَرَّةً أُخْرَى: «إِلَى الْجُحْرِ ... إِلَى الْجُحْرِ، يَا عَزِيزَتِي. لَا تُعْنِي  
بِأَمْرِي ... أَسْرِعِي، يَا صَغِيرَتِي. إِنِّي أَسْمَعُ نُبَّاحَ «ابْنِ وَاِزِعِ» الْخَبِيثِ ... أَظُنُّهُ يَقْتَرِبُ ...  
أَسْرِعِي! ... أَسْرِعِي!»  
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «كَلَّا، لَا سَبِيلَ إِلَى تَرْكِكِ وَحِيدَةً. هَلُمَّ مَعِي، يَا أُمِّي الْعَزِيزَةَ.  
اعْتَمِدِي عَلَيَّ هَكَذَا ... تَشَجَّعِي، يَا أُمَّاهُ. إِنَّ الْجُحْرَ مَنَّا قَرِيبٌ.»  
جَاءَ الْكَلْبُ نَابِحًا عَادِيًا (مُسْرِعًا فِي الْجَرِيِّ) فِي مِثْلِ سُرْعَةِ الرِّيحِ.  
أَسْرَعَتْ «عَكَرِشَةُ» فِي سَرِّهَا، عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهَا. لَكِنَّ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ» تَوَسَّلَتْ إِلَيْهَا  
أَنْ تَضَاعِفَ مِنْ سُرْعَتِهَا.



قَالَتْ لَهَا وَهِيَ تَشْجُعُهَا: «هَلْمِي ... أَسْرِعِي، يَا أُمَّاهُ. لَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا قَفْرَتَانِ ...  
وَصَلْنَا. شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نَجَاتِنَا مِنْ ذَلِكَ الْخَطَرِ الدَّاهِمِ.»

#### (٤) بَعْدَ الْعُودَةِ

كَانَ الْجُهْدُ وَالْإِعْيَاءُ (التَّعَبُ وَالْكَلالُ) قَدْ أَضْنَيَا «عِكْرِشَةَ» (جَهْدَاهَا وَهَزَلَا جِسْمَهَا).  
ارْتَمَتْ فِي جُحْرِهَا خَائِرَةَ الْقُوَى. بَقِيَتْ سَاكِنَةً لَا حِرَاكَ بَهَا. جَزَعَتْ «زَهْرَةَ الْبِرْسِيمِ».  
اشْتَدَّ خَوْفُهَا عَلَى أُمَّهَا. حَسِبَتْهَا مَاتَتْ. صَاخَتْ مَدْعُورَةً: «أُمِّي! ... أُمِّي!»



## زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

فَتَحَتَّ «عِكْرَشَةُ» الْمَرِيضَةَ عَيْنَيْهَا. اطْمَأَنَّتْ عَلَيْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ». أَسْرَعَتْ إِلَيْهَا تَلَحُّسُ جِسْمِهَا مُتَوَدِّدَةً مُتَطَفِّفَةً.  
لَمْ تَلْبَثْ «عِكْرَشَةُ» أَنْ اسْتَعَادَتْ قُوَّتَهَا، وَرَجَعَتْ نَشَاطَهَا.

### (٥) مُطَارَدَةُ الْكِلَابِ

سَأَلَتْهَا «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «أَيُّ عِدَاءٍ وَخُصُومَةٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْكِلَابِ؟ مَا بَالُهَا تُطَارِدُنَا عَلَى غَيْرِ جَرِيرَةٍ (دُونَ ذَنْبٍ، وَبِلَا جَرِيمَةٍ) أَسْلَفْنَاهَا، وَلَا إِسَاءَةً قَدَّمْنَاهَا؟»  
قَالَتْ «عِكْرَشَةُ»: «إِنِّي قَاصَّةٌ عَلَيْكَ — يَا عَزِيزَتِي — سَبَبَ مُطَارَدَةِ الْكِلَابِ إِيَّانَا. أَلَا تَعْرِفِينَ النَّاسَ؟»

لَقَدْ أَرَيْتُكَ وَاحِدًا مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ.  
مَا أَحْسَبُكَ نَسِيتَ ذَلِكَ الْعِمْلَاقَ (الطَّوِيلَ جِدًّا) الَّذِي يَمْشِي مُسْتَوِيًّا عَلَى سَاقَيْنِ، كَمَا يَمْشِي الْأَرْنَبُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْتَظِرَ فِي مَشِيَّتِهِ.  
حَدَّثَنِي أَبُوكَ أَحَادِيثَ طَرِيفَةً عَنِ الرَّجَالِ وَالْكِلابِ. لَقَدْ عَاشَ مَعَهُمْ وَمَكَثَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ — كَمَا أَحْبَبْتِكَ — رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ (وَقْتًا طَوِيلًا).

### (٦) لَحْمُ الْأَرْنَبِ

عَلِمْتُ مِنْهُ مَا لَمْ أَكُنْ أَعْلَمُ. هَلْ تَعْرِفِينَ مَاذَا يَطْعَمُ النَّاسُ؟»  
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «لَعَلَّهُمْ يَأْكُلُونَ الشُّعِيرَ، وَالسَّعْتَرِ، وَالْبُرْسِيمَ، وَمَا إِلَيْهَا مِنْ حَشَائِشِ الْأَرْضِ!»  
قَالَتْ «عِكْرَشَةُ»: «كَلَّا، يَا عَزِيزَتِي! النَّاسُ لَا يَأْكُلُونَ الْحَشَائِشَ الَّتِي نَأْكُلُهَا. لَكِنَّهُمْ يَطْعَمُونَ لُحُومَ الْحَيَوَانَ.

تَأَكَّدُ لِي — مِمَّا قَالَهُ أَبُوكَ «الْحُزْرُ» — أَنَّ لَحْمَ الْأَرْنَبِ هُوَ أَفْخَرُ طَعَامٍ عِنْدَهُمْ. أَلَمْ أَحَدِّثْكَ أَنَّ أَبَاكَ «الْحُزْرَ» هَرَبَ مِنْ بَيْتِ زَارِعٍ؛ لِأَنَّهُ رَأَى أَرْنَبًا مَذْبُوحًا؟»  
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «ذَكَرْتُ الْآنَ ذَلِكَ الْحَدِيثَ الْغَرِيبَ!»

(٧) كَلْبُ الصَّيِّدِ

اسْتَأْنَفَتْ «عِكْرَشَةُ» قَائِلَةً: «لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعَمَالِقَةِ (الطَّوَالِ جِدًّا) سَاقَانِ طَوِيلَتَانِ. لِكِنَّهُمُ — عَلَى سَوْقِهِمُ الطَّوِيلَةَ — لَا يَسْتَطِيعُونَ الْجَرْيَ فِي مِثْلِ خِفَّتِنَا. لَوْ اقْتَصَرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، لَعِشْنَا وَإِدْعَيْنَ آمِنِينَ، فِي الْخَلَاءِ مُسْتَرِيحِينَ. لَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْعَمَالِقَةَ يَسْتَعْدُونَ عَلَيْنَا (يُثِيرُونَ وَيَهَيِّجُونَ) خَدْمَهُمْ مِنَ الدَّوَابِّ الْأُخْرَى الَّتِي تَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ.

هَؤُلَاءِ الْخَدَمُ يَزْتَادُونَ (يَقْصِدُونَ) الْأَرْضِي الْمَوْزَنَبَةَ (الَّتِي تَكْثُرُ فِيهَا الْأَرْزَابُ): يَشْمُونَ رَائِحَتَنَا مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ. يُسْرِعُونَ إِلَيْنَا — عَدْوًا (جَرْيًّا) — حَتَّى يَظْفَرُوا بِنَا، فَيَقْدِمُونَا إِلَى سَادَتِهِمُ الْأُنَاسِيِّ لِقَمًّا سَائِغَةً.

«ابْنُ وَازِعٍ» — ذَلِكَ الْكَلْبُ الَّذِي رَأَيْتَهُ بِعَيْنَيْكَ — هُوَ خَادِمٌ مِنْ خَدَمِ أَوْلِيكَ الْعَمَالِقَةِ. إِنَّمَا اخْتَارُوهُ لِصَيْدِنَا وَالْفَتْكَ بِنَا، لِمَا وَهَبَهُ اللَّهُ مِنْ قُدْرَةٍ عَجِيبَةٍ عَلَى السَّبَاقِ وَالْعَدْوِ. أَعْرَفْتَ السَّرَّ فِيمَا حَدَّثَ لَنَا مَعَهُ الْيَوْمَ؟»  
قَالَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ»: «أُوهِ! فَهَمْتُ كُلَّ شَيْءٍ، يَا أُمِّي. لَسْتُ أَكْتُمُ مَا بَعَثَهُ «ابْنُ وَازِعٍ» مِنَ الرُّعْبِ فِي قَلْبِي، حِينَ دَوَّى (عَلَا وَاشْتَدَّ) نَبَاحُهُ الْمُفْرَعُ فِي أُذُنِي.»

(٨) جِلْدُ الْأَرْزَابِ

قَالَتْ «عِكْرَشَةُ» وَهِيَ تَلْحَسُ شَعْرَ ابْنَتِهَا الْأَبْيَضِ الْجَمِيلِ: «حَدَّثْتُكَ أَنَّ النَّاسَ يَطْعَمُونَ لَحْمَنَا. هَلْ عَرَفْتَ، يَا زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ، مَاذَا يَصْنَعُونَ بِجِلْدِنَا — مَعْشَرَ الْأَرْزَابِ — بَعْدَ أَنْ يَأْكُلُوا لَحْمَنَا الشَّهِيَّ؟ إِنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ مِنْ جِلْدِنَا — كَمَا يَتَّخِذُونَ مِنْ جِلْدِ ابْنِ عَمَّنَا «الْأَرْزَابِ الْبُرِّيِّ» — قَلَانِسَ (أَعْطِيَهُ لِرُءُوسِهِمْ) فِي الشِّتَاءِ، فَيَتَّقُونَ بِهَا بَرْدَهُ الْقَارِسِ (الْقَوِيِّ الْعَنِيفِ).»

عَضِبَتْ «زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ» قَائِلَةً: «يَا لَهُ نَبَأٌ هَائِلًا، يَا أُمَاهُ! فَلْنَحْمِدِ اللَّهَ عَلَى أَنْ مَنَحَكَ أُذُنَيْنِ سَمِيعَتَيْنِ لَوْ لَا يَقْطَعُكَ وَإِنْتِبَاهُكَ، لِأَضْبَحْنَا فِي قَبْضَةِ أَوْلِيكَ الْعَمَالِقَةَ.»

قَالَتْ «عِكْرِشَةُ»: «إِنَّهُمْ — لَفَرَطٌ إِعْجَابِهِمْ بِجَمَالِ فَرَوْنَا — يُطْلِقُونَ عَلَى بَعْضِ ثِيَابِهِمْ اسْمَ: الثِّيَابِ الْمَرْتَبَانِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ يَخْلُطُونَ عَزْلَهَا بِشَعْرِنَا.»

### (٩) هَدِيَّةُ «الْحَزْنِ»

فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، سَمِعَتَا ضَجَّةً كَبِيرَةً بِالْقُرْبِ مِنْ مَكُوْهَمَا (الْجُحْرِ الَّذِي تَسْكُنُهُ الْأُسْرَةُ الْأَرْزَنْبِيَّةُ)؛ فَعَلِمَتَا أَنَّ الْأُسْرَةَ قَادِمَةٌ إِلَيْهِمَا مِنْ رِحْلَتِهَا ... وَقَدْ اسْتَقْبَلَتَاهَا — حِينَئِذٍ — فَرَأَتَا أَمَارَاتِ الْفَرَحِ بَادِيَةً عَلَى وَجْهِ «الْحَزْنِ» وَأَوْلَادِهِ.  
قَرَّرَا قَرَارَهُمْ. قَالَ «الْحَزْنُ»: «مَا كَانَ أَسْعَدَهَا لَيْلَةً، وَالذَّهَّ طَعَامًا! لَقَدْ جِئْتُكُمَا بِشَيْءٍ مِنْ الْبُرْسِيمِ، لِتَشْرِكَنَا فِي هَذَا الطَّعَامِ السَّائِغِ الْهَنِيءِ.»

### خَاتِمَةُ الْقِصَّةِ

حَدَقَ «الْحَزْنُ» فِيهِمَا بُرْهَةً (زَمَنًا طَوِيلًا)، ثُمَّ قَالَ مَذْعُورًا: «يَلُوحُ (يُظْهِرُ) لِي أَنَّ حَادِثًا أَلَمَ بِكُمَا؛ فَإِنِّي أَرَى أَمَارَاتِ الْحَزْنِ مُرْتَسِمَةً عَلَى وَجْهَيْكُمَا!»  
قَصَّتْ «عِكْرِشَةُ» عَلَيْهِ ذَلِكَ الْحَادِثَ الرَّاعِبَ الْمَرْهُوبَ الَّذِي عَرَضَ لَهُمَا.  
كَانَتِ الْأَرَانِبُ الصَّغَارُ جَالِسَةً تَنْصِتُ إِلَى حَدِيثِ «عِكْرِشَةَ» — فِي صَمْتٍ وَدَهْشَةٍ — وَأَذَانُهَا مُنْتَصِبَةٌ مُمْتَدَّةٌ إِلَى الْأَمَامِ، وَأَذْنَابُهَا مُرْتَفَعَةٌ.  
لَمَّا انْتَهَى حَدِيثُ «عِكْرِشَةَ» أَقْبَلَ عَلَيْهَا بَنُوْهَا وَبِنَاتُهَا يَلْحَسُونَ أَعْيُنَ أُمَّهُمْ الْعَجُوزِ الرَّءُومِ، وَأَخْتَهُمُ الصَّغِيرَةَ الْجَمِيلَةَ «زَهْرَةَ الْبُرْسِيمِ».



### أُمُّ الصَّبِيَّانِ

فِي سَالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ  
مُهَذَّبًا طَبَعَهَا، أَلَيْفَهُ  
وَأَلْفَا - بِالْوَدَادِ - عُصْبَهُ  
وَصَوْتُهَا مُنْكَرٌ قَبِيحٌ  
لِمَصْدَرِ الصَّوْتِ جَيْنَ دَوَى

عَاشَ - مِنَ الْجِنَّ - تَابِعَانِ  
وَصَاحِبًا بَوْمَةً ظَرِيفَهُ  
عَاشَتْ وَعَاشَا فِي خَيْرِ صُحْبِهِ  
وَدَاتَ يَوْمَ ظَلَّتْ تَصِيحُ  
فَأَقْبَلَ التَّابِعَانِ تَوَا

وَدَانِيَاهَا مُسْتَعْجِبِينَ وَسَأَلَاهَا مُسْتَفْسِرِينَ:  
«مَا بَالُ أُمَّ الصَّبِيَّانِ تَعْوِي؟»

قَالَتْ:

«مَنْ الْجُوعِ كِدْتُ أَذْوِي!  
لَا حَشْرَاتٍ فِي أَيِّ وَايِي وَلَا بَعُوضٍ يَكُونُ زَايِي  
ظَلَلْتُ لَيْلِي، وَلَيْلَ أُمْسِ، بَاحِثَةٌ عَنِ بَنَاتِ عُرْسِ  
أَوْ فَارَةٍ تَغْتَدِي طَعَامِي أَوْ أَرْزَبٍ - فِي الْحُقُولِ - يَجْرِي  
أَوْ طَائِرٍ - فِي الْهَوَاءِ - يَسْرِي وَضَقْتُ ذَرْعًا، وَضَاقَ صَدْرِي!»

قَالَ لَهَا التَّابِعَانِ:

«صَبْرًا، فَلَيْسَ يُجْدِي الْعَوِيلُ أَمْرًا،  
وَلَيْسَ يُغْنِي بُكَاءُ بَاكِي، وَاسْتَلْهِمِي الْعُزْمَ وَالْمَضَاءَ  
فَالْجِدُّ بِالْحَازِمِينَ أَجْدَى وَالرَّجَاءَ  
وَالصَّبْرُ أَوْلَى بِهِمْ وَأَهْدَى وَالْجِدُّ خَيْرٌ مِنَ الصِّيَاحِ

## أعلام الحيوان

«تُنْتَبِتُ فِي هَذَا الْمُعْجَمِ الصَّغِيرِ طَائِفَةٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْحَيَوَانِ وَكُنَاهُ وَالْقَابَهُ، لِيَرْجَعَ إِلَيْهَا الْمُدْرَسُ عِنْدَ الْحَاجَةِ»

(١)

ابْنُ عَرِسٍ: السُّرْعُوبُ

أَبُو فَصَادَةَ: الدُّعْرَةُ: أُمُّ عَجَلَانَ

الْأَثَانُ: أُمُّ الْهَنْبَرِ: أُمُّ تَوْلَبَ

الْأَرْزَبُ: أَبُو نَبْهَانَ: الْخُرْزُ: الْخَرِيقُ (وَالْخَرِيقُ الْفَتِي مِنَ الْأَرَانِبِ)

الْأَرْزَبَةُ: عِكْرِشَةُ

الْأَسَدُ: أَبُو الْأَمْنِ: أَبُو فِرَاسٍ

أُمُّ عُوَيْفٍ: أُمُّ حُبَيْنَ: دُوَيْبَةُ صَغِيرَةٌ صَخْمَةُ الرَّأْسِ، مُخْضَرَّةٌ، لَهَا ذَنْبٌ طَوِيلٌ، وَأَرْبَعَةٌ أَجْنِحَةٌ، إِذَا رَأَتْ الْإِنْسَانَ قَامَتْ عَلَى ذَنْبِهَا، وَنَشَرَتْ أَجْنِحَتَهَا، وَهِيَ لَا تَطِيرُ. وَيُقَالُ لَهَا «نَاشِرَةٌ بُرْدِيهَا» يَلْعَبُ بِهَا الصَّبِيَانُ وَيَقُولُونَ لَهَا:

أُمَّ عُوَيْفٍ أَنْشَرِي بُرْدِيكَ  
تُمَّتِ طِيرِي بَيْنَ صَحْرَاوَيْكَ  
إِنَّ الْأَمِيرَ حَاطِفٌ بِنَنِّيكَ  
بَجَيْشِهِ وَنَاطِرٌ إِلَيْكَ

(ب)

الْبَازِي: أَبُو الْأَشْعَبِ

الْبُرْص: أَبُو بُرَيْص: سَامٌ أْبُرْص: أَبُو سَلْمَى: أَبُو سَلْمَانَ

الْبُرْعُوث: أَبُو طَاهِر

البطة: أم حفصة (تقول: هذا بطة، وهذه بطة، كما تقول: هذا بقرة، وهذه بقرة، لتعين الذكور والإناث)

البغل: أَبُو الْأَخْطَلِ

البقرة: الْجُوذْرَةُ: الْخَنَسَاءُ (بِقَرَّةٍ مُعْجَلٍ: نَاتٌ عَجَلٍ)

البومة: أُمُّ الْخَرَابِ: أُمُّ الصَّبِيَّانِ: غَرَابُ اللَّيْلِ

(ت)

التَّيْسُ: أَبُو بَجِيرٍ

(ث)

التُّغْلَبُ: أَبُو الْحَصِينِ: التُّغْلَبَانُ (أُنثَاهُ: تُعَالُ. وَوَلَدُهُ: الْهَجْرِسُ)

التُّورُ: أَبُو زُرْعَةَ: أَبُو فَرْقَدَ: الْأَخْنَسُ (أُنثَاهُ الْخَنَسَاءُ)

(ج)

الْجَامُوسُ: أَبُو الْعَرْمَضِ

الْجَحْشُ: التَّوَلَبُ

الْجَدْعُ: التَّيْسُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ

الْجَرَادُ: أَبُو قَيْسٍ: أَبُو عَوْفٍ: الْعُنْطُبُ: الْعُنْطُوبُ (أُنثَاهُ، الْعُنْطَوَانَةُ، وَوَلَدُهُ السَّرْوَةُ)

الْجَفْرُ: وَلَدُ الْمِعْزَى بَعْدَ مَا يُفْطَمُ (جَمْعُهُ: جَفَارُ)

الْجَمَلُ: أَبُو أَيُّوبٍ (الْجَمَلُ ذُو السَّنَامَيْنِ: الْقِرْعَوْشُ، وَالْفَلَجُ)

(ح)

الْحِدَاةُ: أَبُو الْخَطَّافِ

الْحِصَانُ: لَاحِقُ (أُنثَاهُ الْحِجْرُ، وَوَلَدُهُ الْمُهْرُ)

الْحَظِيرَةُ: الزَّرِيبَةُ: الْمَعِينُ: الْعَطْنُ: الْمَرِيضُ: الْكِنَاسُ: الْإِصْطَبَلُ

الْحَلَانُ: الْجَدِي الَّذِي يُشَقُّ عَنْهُ بَطْنُ أُمِّهِ

الْحِمَارُ: ابْنُ الْمَرَاعَةِ: أَبُو زِيَادٍ: أَبُو صَائِرٍ

الْحِمَارَةُ: أُمُّ تَوْلَبٍ: أُمُّ وَهَبٍ: أُمُّ نَافِعٍ

الْحَمَامُ: أَبُو النَّظِيفِ (أُنثَاهُ عِكْرِمَةُ، وَوَلَدُهُ: مُجٌّ: بُجٌّ: عَزْهَلُ)

الْحَيَّةُ: بِنْتُ الدَّوَاهِي

الْحَيُّوتُ: أُنثَاهُ الْحَيَّةُ

(خ)

الْخَنْزِيرُ الْبَرِّيُّ: الْعِفْرُ: أَبُو جَهْمٍ: أَبُو دُلْفٍ (وَلَدُهُ الْخَنْوُصُ)

(د)

الدَّبُّ: أَبُو جُهَيْنَةَ (وَلَدُهُ الدَّيْسَمُ)

الدَّيْكُ: أَبُو يَقْظَانَ (أُنثَاهُ: الدَّجَاجَةُ، وَابْنُهُ: الْبَرْنِيُّ، وَبِنْتُهُ: الْفَرُوجَةُ)



(ذ)

الدُّبُّبُ: أَبُو جَعْدَةَ: عَسَعَسَ (أُنْتَاهُ: جَهِيْرَةُ)

(ر)

الرَّبْرَبُ: جَمَاعَةُ الْبَقْرِ  
الرَّخْلَةُ: الْأُنْتَى مِنَ الْحُمْلَانِ  
الرَّحْمُ: الْعُدْمَلُ (أُنْتَاهُ الرَّحْمَةَ، أَوْلَادُهُ: النَّقَائِقُ)  
الرَّقَشَاءُ: الْعَنْزُ السَّوْدَاءُ الْمُنْقَطَةُ بِيَاضٍ

(ز)

الزَّرَافَةُ: أُمُّ عَيْسَى

(س)

السَّخْلَةُ: وُلِدَ الْمَاعِزِ سَاعَةً وَضَعِهِ (جَمْعُهُ: سَخَالُ)  
السَّرَطَانُ: أَبُو بَحْرِ  
السُّلْحَفَاءُ: بِنْتُ طَبَقِ  
السَّمَكُ: أَبُو الْعَوَامِ: بِنْتُ رِجْلَةَ

(ش)

الشَّاهُ: أُمُّ الْأَشْعَثِ (أَرْضُ مَشَاهَةَ: ذَاتُ شَاءِ)

(ض)

الضَّبُّ: أَبُو حَسَلٍ

الضَّبْعُ: أُمُّ قَشَعَمَ

الضَّفْدِغُ: الْعُلْجُومُ: أَبُو هُبَيْرَةَ: الْقُرَّةُ: الْعُدْمُولُ: النَّقَاقُ

الضَّفْدِغُ الصَّغِيرُ: الشَّرْعُ

الضَّفْدِغَةُ: أُمُّ هُبَيْرَةَ: الْهَاجَةُ (وَيَسْمَى بِبَيْضِهَا: الْقُرَّةُ)

(ط)

الطَّائُؤُسُ: أَبُو الْحُسَيْنِ

الطَّيِّئُ: وَلَدُ الشَّاهِ أَوْلَ مَا يَسْقُطُ (جَمْعُهُ: طَيَّيَانُ)

(ظ)

الظَّبِيَّةُ: أُمُّ خَشْفٍ: أُمُّ عَزَّةَ (الْخِشْفُ: وَلَدُهَا. عَزَّةُ: بِنْتُهَا)

(ع)

الْعَقَابُ: الْعَرَنُ (أُنْتَاهُ: الْقَنْوَاءُ، وَوَلَدُهُ النَّاهِضُ)

الْعُقْرَبُ: الْعُقْرَبَانُ (أُنْتَاهُ: عَقْرَبُ: أُمُّ عَرِيْطَ، وَوَلَدُهُ الْفِصْعُلُ)

الْعَنْكَبُ: أَبُو خَيْثَمَةَ: أَبُو قَشَعَمَ: الْعَكَاشُ: الرُّتَيْلَاءُ

الْعَنْكَبَةُ: أُمُّ قَشَعَمَ: الْعَنْكَبُوتُ

(غ)

الْعُرَابُ: ابْنُ دَائِيَّةَ  
الْعَرَالُ: أَبُو الْحُسَيْنِ

(ف)

الْفَارُ: أَبُو أَدْرَاصِ  
الْفَارَةُ: أُمُّ رَاشِدِ  
الْفَرَسُ: أَبُو الْمَصَاءِ  
الْفَهْدُ: أَبُو حَيَّانِ  
الْفَيْلُ: كَلْتُومُ: أَبُو الْحَجَّاجِ: أَبُو الْحِرْمَانِ: أَبُو دَعْفَلِ: أَبُو كَلْتُومِ: أَبُو مَزَاحِمِ (وَأُنْتَاهُ:  
عَيْتُومِ)

(ق)

الْقَرْدُ: الرَّبَّاحُ (أُنْتَاهُ الدَّحِيَّةُ، وَوَلَدُهُ الْقَشَّةُ)  
الْقِطُّ: أَبُو خِدَاشِ  
الْقَطَا: الْيَعْقُوبُ (أُنْتَاهُ قَطَاةٌ، وَوَلَدُهُ النَّهَارُ)  
الْقَمَلَةُ: أُمُّ طَلْحَةَ  
الْقَهْبُ: الْأَبْيَضُ مِنْ أَوْلَادِ الْبَقْرِ. الْمَارِي: الْجُودُرُ

(ك)

الْكَبْشُ: الشَّقْحَطَبُ (وَهُوَ اسْمُ الْكَبِشِ لَهُ قَرْنَانِ أَوْ أَرْبَعَةٌ، كُلُّ مِنْهَا كِشَقٌ حَطَبٍ)  
الْكُرْكِيُّ: أَبُو نَعِيمٍ  
الْكِرْوَانُ: الطَّرِيقُ (وَلَدُهُ: اللَّيْلُ) (جَمْعُهُ: كِرْوَانٌ، وَكِرَاوِينُ)  
الْكَلْبُ: ابْنُ وَازِعٍ: أَبُو خَالِدٍ: وَاشِقُّ (أُنثَاهُ: بَرَاقِشٌ، وَوَلَدُهُ: قُطْرَبُ)  
الْكَلْبَةُ: أُمُّ يَعْفُورٍ

(ل)

اللَّبَّوَّةُ: أُمُّ شَبْلٍ  
الْيَاحُ: التَّوْرُ الْأَبْيَضُ

(ن)

النَّاقَةُ: أُمُّ حَوَا: بِنْتُ الْبَيْدِ  
النَّحْلُ: التَّوْلُ (أُنثَاهُ: النَّحْلَةُ، وَوَلَدُهُ: الرَّصْعَةُ)  
النَّسْرُ: أَبُو الْأَبْدِ: الضَّرِيكُ (أُنثَاهُ: الْعِترَةُ، وَوَلَدُهُ: الْهَيْئَمُ)  
النَّعَامَةُ: أُمُّ الْبَيْضِ  
النَّعْجَةُ: أُمُّ فَرَوَةَ: الطُّوبَالَةُ  
النَّمْرُ: أَبُو جَهْلٍ  
النَّمْسُ: الدَّلَقُ  
النَّمْلَةُ: أُمُّ مَازِنٍ: أُمُّ مَشْغُولٍ: بِنْتُ الشَّيْصَبَانِ

زَهْرَةُ الْبُرْسِيمِ

(هـ)

الْهُدُودُ: أَبُو الْأَخْبَارِ  
الْهَرُّ: مُحَادِشٌ (وَلَدُهُ: الدَّرُّصُ)

(و)

الْوَزُّ: أَبُو زَفِيرٍ: أَبُو زُفَيْرٍ  
الْوَزْعُ: أَبُو سَلْمَانَ

# أُسْرَةُ الْحَيَّوانِ

## الأَرْزَبُ

اسْمُهُ: الخُرْزُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو نَبَّهَانَ

أُنْتَاهُ: عِكْرَشَةُ

وَلَدُهُ: الخَزْبِقُ

## التَّوْرُ

أُنْتَاهُ: البَقْرَةُ

لَقَبُ التَّوْرِ: الأَخْنَسُ

لَقَبُ البَقْرَةِ: الخَنْسَاءُ

## البَطُّ

اسْمُهُ: العُلْجُومُ

أُنْتَاهُ: البَطَّةُ

كُنْيَتُهُ: أُمُّ حَفْصَةَ

## التُّعَلْبُ

اسْمُهُ: التُّعَلْبَانُ

أُنثَاهُ: تُعَالُ، أَوْ: تُعَالَةٌ

وَلَدُهُ: الْهَجْرَسُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْحَصِينِ

## الْجَرَادُ

اسْمُهُ: الْعُنْظُبُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو قَيْسٍ، وَأَبُو عَوْفٍ

أُنثَاهُ: الْعُنْظَوَانَةُ

ولده: السَّرْوَةُ

## الْحَمَامُ

أُنثَاهُ: عِكْرَمَةٌ

وَلَدُهُ: مَجٌّ، بَجٌّ، عَزْهَلٌ

كُنْيَتُهُ: أَبُو النَّظِيفِ

## الْحَيَّاتُ

أُنثَاهَا: الْحَيَّةُ

رَوْجُهَا: الْحَيُّوتُ

### الْخَنْزِيرُ

اسْمُهُ: الْعُفْرُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو دُلْفٍ، وَأَبُو عُقْبَةَ

وَلَدُهُ: الْخَنُوصُ

### الدَّجَاجُ

رَوْجُهَا: الدِّيكُ، الْعُتْرَفَانُ

الْأُنثَى: الدَّجَاجَةُ

ابْنُهَا: الْبَرْنِيُّ

بِنْتُهَا: الْفَرُوجَةُ

كُنْيَةُ الدِّيكِ: أَبُو يَقْطَانَ

### الدُّبُّ

اسْمُهُ: عَسْعَسٌ

أُنثَاهُ: جَهِيْرَةٌ

كُنْيَتُهُ: أَبُو جَعْدَةَ

### الرَّحْمُ

اسْمُهُ: الْعُدْمَلُ

أُنثَاهُ: الرَّحْمَةُ

أَوْلَادُهُ: النَّقَانِقُ



الْعَقَابُ

اسْمُهَا: الْعَرَنُ

أُنْتَاهَا: الْقَنْوَاءُ

وَلَدُهَا: النَّاهِضُ

الْعُقْرُبُ

إِنَائُهَا: الْعُقْرُبُ

دُكُورُهَا: الْعُقْرُبَانُ

أَوْلَادُهَا: الْفُصْعُلُ

الْعَنْكَبُوتُ

اسْمُهَا: الْعَكَّاشُ

أُنْتَاهَا: الْعَنْكَبُوتُ، أَوْ: الْعَنْكَبَةُ

كُنْيَتُهَا: أَبُو حَيْثَمَةَ

الْفَيْلُ

اسْمُهُ: كُنُومٌ

أُنْتَاهُ: عَيْتُومٌ

وَلَدُهُ: الدَّغْفَلُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو الْحَجَّاجِ

### الْقِرْدُ

اسْمُهُ: الرُّبَاخُ

أُنْتَاهُ: الدَّحِيَّةُ

وَلَدُهُ: الْقَشَّةُ

### الْقَطَا

مِنْ أَسْمَائِهِ: الْيَعْقُوبُ

أُنْتَاهُ: قَطَاةٌ

وَلَدُهُ: النِّهَارُ

### الْكِرْوَانُ

اسْمُهُ: الطَّرِيقُ، أَوْ: الطَّرِيقُ

وَلَدُهُ: اللَّيْلُ

### الْكَبُّ

مِنْ أَسْمَائِهِ: وَاشِقُ

كُنْيَتُهُ: أَبُو خَالِدٍ

أُنْتَاهُ: بَرَاقِشُ

وَلَدُهُ: قَطْرُبُ

### النَّسْرُ

اسْمُهُ: الصَّرِيكُ

أُنثَاهُ: الْعِترَةُ

وَلَدُهُ: الْهَيْتَمُ

### النَّحْلُ

اسْمُهُ: التَّوْلُ

أُنثَاهُ: النَّحْلَةُ

وَلَدُهُ: الرَّصَعَةُ

### الْقَطُّ

اسْمُهُ: مَحَادِشُ

أُنثَاهُ: سَنُورَةٌ

وَلَدُهُ: الشُّبْرُقُ